الذهب

تأليف
يوجين أونيل



ترجمه
محمد الخطيب عباس

راجعه
الدكتور عبد القادر القط



الناشر: دار الكرنك

الالف كتاب (٣٢١)

الذهب

١٩٦١

تصدر هذه السلسلة بإشراف
المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية

مطبعة مخيمر تليفون: ٤٧١٩٣

الألف كتاب (٣٢١)

الذهب

تأليف
يوجين أونيل

ترجمه
محمد الخطيب عباس

راجعه
الدكتور عبد القادر القط



الناشر
دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع
عمارة رمسيس : ميدان رمسيس (باب الحديد) القاهرة

هذه ترجمة كتاب

THE GOLD

تأليف

Eugéne O'Neill

شخصيات المسرحية

الكابتن إيزايا بارتليت	:	قبطان السفينة «تريتون» لصيد الحيتان
سيـــلاس هورن	:	رئيس بحارة السفينة تريتون
بين كيتس جيمي كاناكا ، من أهالي الجزر بتلر ، طباخ السفينة تريتون		من بحارة السفينة تريتون
آبيل	:	خادم السفينة
سارة آلن بارتليت	:	زوجة القبطان
ســـو	:	ابنتهما
نـات	:	ابنهما
دانيل درو	:	ضابط باخرة شحن
دكتور بيري	:	طبيب

الفصل الأول

(المنظر)

جزيرة مرجانية صغيرة جدباء على الحافة الجنوبية لأرخبيل الملايو ، الرمال المرجانية تلتهب فى وهج الشمس ، وترتفع إلى يمين مقدمة المسرح فى صورة كثيب يعلو بضع أقدام فوق سطح البحر . شجرة كاكاو ضئيلة ترتفع من وسط هذا الكثيب وقد تدلت أوراقها الخشنة الساكنة وتلقى برقعة صغيرة مستديرة من الظل تحتها مباشرة على الأرض حول الجذع . يمكن رؤية بحيرة على بعد مائة ياردة ، يتقابل لونها الأزرق الفاتح مع بياض الشاطئ المرجانى الذى يسير بمحاذاة حافتها المستديرة ، يحدد الأفق البعيد تجاه البحر شريط عريض من الضباب الأرجوانى الذى يفصل بين زرقة المياه الفاتحة وزرقة السماء التى يشوبها لون المعدن الرمادى . الجزيرة تستعر ، أشعة الشمس المتوهجة تنعكس ثانية ناحية السماء فى ضباب مرتعش من الموجات الحرارية التى تشوه معالم الأشياء ، وتضفى على العالم المرئى صفة غامضة مخيفة كما لو كان يطفو ويغرق فى سائل حار مذاب لا لون له .

عندما ترتفع الستار نرى «آبيل» مستغرقا فى النوم وقد تكوم فى رقعة الظل تحت شجرة الكاكاو ، وهو غلام ضئيل البنية فى الخامسة عشرة ، ذو وجه ضامر كأنه وجه كهل ، لفحته الشمس فاكتسب لون ورق « البرشمان » ، الورق المقوى الجاف ، وهو يرتدى حلة من قماش

الدمور القذر ، تصلح لرجل ، فهى واسعة جدا عليه وتتهدل فى ثنيات على جسمه الضئيل . وتخرج هالة من الشعر الكستنائى فى خصلات رخوة من تحت قبعته المصنوعة من القماش السميك .الغلام يبدو فى غاية الإرهاق ، ومن الواضح أن أحلامه مفعمة بالرعب ، لأنه يتقزز فى حركات تشنجية ويئن من الخوف . يدخل بتلر مهرولا يلهث من الجانب الأيمن فى المؤخرة . وهو رجل طويل تعدى منتصف العمر ، يرتدى ثيابا حائلة اللون من حلة كانت يوما ذات لون بنى . معطفه الذى تساقطت أزراره مفتوح يكشف عما تحته من عرى . تغطى رأسه الأصلع قبعة من القماش تتدلى من تحتها هالة من الشعر القذر الخفيف الرمادى اللون . جسمه ضامر ، ووجهه ، بعينيه المستديرتين الزرقاوين قد تشقق وجف بتأثير أشعة الشمس . حطام حذاء ثقيل يتأرجح فى قدميه العاريتين . ينظر خلفه بحذر ، كما لو كان خائفاً من أن يكون ثمة من يتبعه . وعندما يتأكد من أن أحدا لايتبعه ، يقترب من الغلام النائم أبيل ، وينحنى عليه ويضع يده على جبهته . يئن أبيل ويفتح عينيه ويحملق حوله فى فزع ، كما لو كان يبحث عن شخص يخشى وجوده .

آبيل : (فى صوت أجش) أين القبطان والآخرون يابات ؟

بتلر : (فى همس أجش) على الشاطئ - هناك . (يلوح فى إعياء ، إلى اليمين ثم يتهالك تحت الشجرة وهو يئن ، وقد اضطجع بظهره على الجذع محاولا عبثاً أن يثنى ساقيه الطويلتين إلى أعلى ليكون كله فى الظل)

آبيل : (بعينين نهمتين) ألم يعثروا على ماء بعد ؟

بتلر : (يهز رأسه ، وقد أغمض عينيه فى تعب) لا . كيف يعثرون على الماء حيث لا يوجد شئ منه فى جزيرة الشيطان هذه ؟ إنها جافة كقطعة من العظم . ليس فيها غير الرمل والشمس ، هذا كل ما فيها يا بنى .

آبيل : (فى صرخة مفاجئة تنم عن ألم مبرح وقد ارتجفت شفتاه) أريد جرعة ماء - هذا فظيع ؟ (فى توسل مرتجف) قل لى ، ألم يتبق لديك جرعة أخرى ؟ - بإخلاص ، ألم يعد لديك ؟

بتلر : (ينظر حوله فى حذر) لا ترفع صوتك هكذا ! (يثبت عينيه فى حدة على الغلام) هذا سر دفين ، تذكر ذلك ! هل تقسم أنك لن تبوح له به ؟

آبيل : بالتأكيد ، يابات ، بالتأكيد ! فليصعقنى الله إن فعلت !

بتلر : (يخرج زجاجة كبيرة من الجيب الخلفى لسرواله ، مملوءة بالماء

إلى نصفها تقريبا) إنه ـ والآخرون ـ سيقتلوننى كالكلب ـ أنت أيضاً يا بنى ـ تذكر هذا !

آبيل : بالتأكيد ! لن أخبرهم يابابات . (يمد يديه فى جنون) أوه ، أعطنيها يابابات ! أسقنى ، بحق المسيح !

بتلر : لا ، لن تأخذها ! قطرات قليلة فقط . لابد أن تكفينا حتى تمر بناسفينة وتلتقطنا . هذا هو أملنا الوحيد . (يمسك بالزجاجة على بعد ذراع من الغلام) أنزل يديك الآن ـ وإلا فلن تنال نقطة واحدة ! (ينزل الغلام يديه إلى جانبه . يضع بتلر الزجاجة فى حذر على شفتيه ، ويسمح للغلام بجرعتين ـ ثم ينتزعها بعيدا) كفاك هذا الآن . وسأعطيك مزيدا منها فيما بعد . (يتناول هو نفسه جرعة ويبذل جهدا كبيرا من إرادته ، ليبعد الزجاجة عن شفتيه ، ويسدوهتها بسرعة ، ثم يضعها ثانية فى جيبه وتصدر عنه زفرة مرتعدة) .

آبيل : أوه ، أريد المزيد ! فقط مجرد جرعة أخرى .

بتلر : (فى حزم) كلا !

آبيل : (يبكى فى ضعف) أيها الوغد القذر !

بتلر : (فى هدوء) لاتغضب . إن ذلك يجعلك أكثر حرارة ـ وأشد عطشاً . (يتهالك الغلام إلى الوراء وهو منهك ويغمض عينيه . يبدأ بتلر فى التحدث بصوت أكثر ثباتا ، كما لو كانت جرعة الماء قد

جددت من شجاعته) ومع ذلك ، فإن هذا القدر من الماء سينقذنا . إنها فكرة موفقة خطرت لى - فى اللحظة الأخيرة . كانوا ينزلون القوارب ، كنت أستطيع أن أسمعك وأنت تنادينى وتطلب أن أسرع بالحضور ، ولكنى فكرت فى ملء هذه الزجاجة ، كانت موضوعة هناك فى مطبخ السفينة منذ سنتين تقريباً ، كنت أضعها فى جيبى الخلفى مليئة بالوسكى ، فى تلك الليلة فى «أوسكلاند» عندما أختطفت . . وهكذا ملأتها من دلو قبل أن أجرى إلى القارب . من حسن الحظ أنى فعلت ذلك ، يابنى - من أجلك ومن أجلى وليس من أجلهم - عليهم اللعنة ! (كما لو كان يبرر لنفسه موقفه) ما الذى يدعونى إلى أن أخبرهم ، آه ؟

هل حصلت من أحدهم على أفضل من ركلة أو لعنة (فى انتقام) هل كانوا يعطوننى هذه الزجاجة إذا كانت لديهم ؟ كانوا يفضلون أن يرونى فى الجحيم قبل أن يفعلوا ! وبجانب ذلك ، لقد فات الأوان بالنسبة لهم . لقد فقدوا عقولهم تماما هم الأربعة . لم يتذوقوا قطرة واحدة منذ ثلاث ليال مضت عندما نفد الماء فى البرميل وجدفنا نحو هذه الجزيرة فى الظلام . (يضحك فجاءة بطريقة شاذة) هل سمعتهم وهم يصرخون ويصيحون كالمجانين قبل أن أحضر بقليل؟

آبيل : أظن أننى سمعت شيئاً - ولكن ربما كنت أحلم .

بتلر : إنهم هم الذين يحلمون . لقد كنت معهم . (فى غضب يتزايد) لقد أيقظنى بركلة ـ وكان كلما حاولت أن أبتعد يعيدنى بعد أن يضربنى . إنه مازال قويا ـ (مهدداً فى لهجة انتقامية) ولكنه لا يستطيع أن يبقى طويلا..عليه اللعنة ! (يسيطر على نفسه ، ويستمر فى حكايته فى انفعال) ذهبنا نبحث عن الماء . ثم رأى «جيمى كاناكا» قاربا غارقا إلى نصفه داخل الشعب . وهو من نوع قوارب الملايو ولكنه أكبر منها . وظنوا أنهم ربما عثروا فيه على شئ يشرب ،وفجأة صدرت عنهم صرخة فظيعة ، كانوا جميعاً يقفون حول صندوق فتحوه عنوة ، وهم يصرخون ويلعنون وقد فقدوا عقولهم تماما. وعندما نظرت رأيت أن الصندوق ملئ بأنواع من «الخردة» المعدنية ـ أساور وأحزمة وعقود أعتقد أنها مما يلبسه أهالى الملايو. كانت كلها مصنوعة من النحاس الأصفر والنحاس الأحمر فقط ، وحلى زائفة وأشياء أخرى ـ لا تساوى شيئا ! والتقطت شيئاً منها لأتأكد ثم أخبرته بصراحة : « هذا ليس ذهباً ! إنه نحاس أحمر وأصفر ـ لا يساوى شيئاً . » يا إلهى ، لقد انقلب وحشا ! واضطررت إلى الجرى ، وإلا لكان ذبحنى . (فى عنف مفاجئ) إنهم يستحقون كل ما حدث لهم وما سيحدث . لقد خطفونى ، وأنا مخمور وأبعدت عن وظيفة طيبة لأطبخ طعام الخنازير على ظهر سفينة عفنة لصيد الحيتان . أوه ، سأرد له الصاع صاعين !

إن سفينته الملعونة قد تحطمت وفقدها ـ وهذه هى البداية . سأراه وهو يهلك والثلاثة الآخرون معه ! ولكن أنت وأنا سيتم إنقاذنا ! هل تعلم السبب فى أنى جعلتك تتقاسم معى هذا الماء ؟ لأنهم كانوا يضربونك ديركلونك أنت أيضا . والآن جاء دورنا لننتقم (يتهالك إلى الوراء ، وقد أنهكته هذه الثورة من الغضب . كلاهما صامت وقد استندا إلى جذع الشجرة وأغمضا عيونهما . صوت همهمة رجال يتناهى من اليمين ، فى الخلف ، ويقترب بالتدريج) .

آبيل : (يفتح عينيه فى فزع) بائس ! إننى أسمعهم قادمين !

بتلر : (ينصت وقد حملق لحظة) أجل إنهم هم (ينهض فى ضعف . أبيل ينهض مترنحا ، ويتحرك الاثنان إلى الشمال . يحجب بتلر عينيه بيديه وينظر ناحية الشاطئ) أنظر ! إنهم يسحبون صندوق الخردة هذا ، هؤلاء الحمقى الملاعين ! (محذرا) إنهم مجانين كالشياطين . لا تتح لهم فرصة الانقضاض عليك ، فاهم ؟ (ضجة صادرة عن وقع خطوات ثقيلة على الرمال ، يظهر القبطان بارتليت ، يتبعه هورن ، الذى يتبعه بدوره كيتس وجيمى كاناكا . وبارتليت رجل طويل ضخم الجثة ، يرتدى سترة زرقاء « ذات صفين » وسروالا من نفس القماش وحذاء بحريا من المطاط يصل إلى ركبتيه ، وبالرغم مما يبدو عليه من آثار الجوع والظمأ ، فما زالت هناك دلائل على القوة العظيمة الكامنة فى جسده ذى العضلات المفتولة . رأسه ضخم يعلوه شعر كثيف ملبد رمادى اللون . أما وجهه فضخم بارز العظام لوحته

الشمس ، وأنفه طويل معقوف ، وفمه واسع جـــدا يغطيه شارب رمادي خشن ، وفكه العريض يبرز فى زاوية تدل على عناد لا يلين . وحاجباه كثيفان رماديان يطغيان على النظرات الذاهلة لعينيه السوداوين . وسيلاس هورن رجل عجوز نحيل حاد الطبع له أنف كمنقار الببغاء ، وتظهر على وجهه النحيف آثار حياة طويلة من الشهوات الوضيعة والقسوة الخسيسة . وهو يرتدى سروالا من القطن الرمادى وقميصا بدون أكام قد تمزق من فوق صدره ذى الشعر الكث وقد حرقت الشمس الجزء المكشوف من ذراعيه وكتفيه وصدره ويضع على رأسه قبعة . كيتس قصير غليظ ذو صدر عريض وساقين وذراعين غليظتين قصيرتين . له وجه مربع يبدو عليه الغباء وعينان جشعتان كعيني الخنزير يظهر عليهما أثر مرض الجديرى بشكل بشع ، وهو فظ غبي كالحيوان الأعجم . ويرتدى سروالا من الدمور «وصديرى» مما يلبسه البحارة ، أبيض قذر ، وقبعة بنية اللون . جيمسى كانا كا شاب قوى من أهل الجزر ، طويل القامة برونزى اللون ، لا يرتدى سوى قطعة من القماش تستر عورته ، وحزاما جلديا به غمد سكين . الرجلان الأخيران يترنحان تحت ثقل صندوق ثقيل مزركش . يبدو فى عيون الرجال البيض الثلاثة تعبير وحشى وهم يلهثون من الإرهاق وتهتز سيقانهم من الضعف ، شفاههم منتفخة ومتشققة ، وأصواتهم مكتومة لما أصاب ألسنتهم من ورم . ومع ذلك فإن مظاهر سعادة وانفعال قوى تبدو على وجوههم المحروقة) .

بارتليت : (فى صوت رتيب منخفض) أعرف أن هذا الصندوق

ثقيل ، ارفعوه يا رفاق ! ارفعوه ! (يلقى بنفسه فى الظل ، وقد أسند ظهره إلى الشجرة ، ويشير إلى الرمال عند قدميه) ضعوه هناك يارفاق ـ هناك حيث أستطيع أن أراه !

هورن : (يردد كلماته بشكل آلى) ضعوه هناك !

كيتس : (فى صوت غليظ يدل على الغباء) سمعاً . سمعاً ، ياسيدى . أنزله ياجيمى . (يضعون الصندوق على الأرض) .

بارتليت : إجلسوا يارفاق ، إجلسوا . إنكم تستحقون نصيبكم من الراحة (يلقى الرجال الثلاثة بأنفسهم على الرمال بطريقة تدل على تعبهم الشديد . يحدق بارتليت فى الصندوق بعينين نهمتين ، يخيم صمت يقطعه كيتس فجأة وقد وثب راكعا على ركبتيه ويقول فى صيحة مختنقة)

كيتس : (عيناه تحملقان فى القبطان فى إصرار وحشى) أريد أن أشرب ، أريد ماء . (يجفل الآخرون وقد تركز انتباههم المشتت . تتحرك شفتا هورن فى ألم وهو يكرر الكلمة دون أن تسمع . تمر فترة صمت ثم يضرب بارتليت جانبي رأسه بقبضته كما لو كان يريد أن يبعد خاطرا ملحا عن ذهنه . يقف بتلر وأبيل ينظران إليهما نظرات هالعة) .

بارتليت : (يستعيد السيطرة على نفسه ويقول بصوت حازم عميق النبرات فيه رنة تهديد) إذا نطقت هذه الكلمة مرة ثانية يابن كيتس ـ إذا نطقتهـــا مرة ثانية ستصبح طعاما لسمك القرش ! أتسمعنى ؟

كيتس : (فى فزع) أجل . ياسيدى . (يتهالك فى ضعف على الرمال ثانية . يسترخى كل من هورن ، وكاناكا ، فى يأس) .

بارتليت : (فى احتقار شديد) هل أنت طفل أو امرأة مريضة حتى تتصرف هكذا ـ وتصرخ طالباً ما تعلم أننا لا نملكه ؟ ألا تستطيع أن تحتمل قليلا من الظمأ كالرجال ؟ (فى حزم) سيتوفر الماء ـ إذا انتظرت وأغلقت فمك . سيتم إنقاذنا جميعا اليوم . أقسم لكم على ذلك. هذه الحالة لا يمكن أن تدوم (تقع عيناه على الصندق) كان ينبغى أن تغنوا بدلا من أن تبكوا ـ بعد عثورنا على هذا الكنز . ماذا يهم عدم وجود ماء ـ بجانب وجود ذهب أمامكم ؟ (فى ابتهاج جنونى) ذهب ! يكفى نصيبكم منه لشراء روم ونبيذ ونساء أيضا طول حياتكم !

كيتس : (يعتدل حتى يجلس ـ يحملق بعينيه الضيقتين فى الصندوق مفتونا ويقول فى همهمة بلهاء) أجل ـ أجل ـ روم ونبيذ !

بارتليت : (وقد أغمض عينيه نصف إغماضة كما لو كان من الأفضل أن يستمتع بأحلامه) أجل،روم ونبيذ ونساء لك ولهورن ولجيمى، لن تضطروا إلى العمل الشاق فى البحر القذر ، أيها الرفاق ، ولكن ستعمر جيوبكم بمرتب يوم كامل تنفقونه كل يوم من أيام السنة . (يصيخ الثلاثة بآذانهم ويستمعون بشغف . حتى بتلر وأبيل يتقدمان خطوة أو خطوتين نحوه ، كما لو كانا تحت تأثير تنويم مغناطيسى)

ومع ذلك يزمجر كيتس لأنه عطشان ! إننى أحقكم بالشكوى - لو كانت الشكوى تجدى ! ألم أخسر سفينتى ومجهود سنتين عليها ؟ فماذا خسرتم أنتم ، ثلاثتكم ، غير قليل من الملابس الرثة ؟ (فى تأكيد وحشى) أتدرون ؟ إننى مسرور لغرق السفينة تريتون ! (يطرق على الصندوق بأصابعه) إن هذا الصندوق يحتوى على أكثر مما كسبته جميع سفن صيد الحيتان قاطبة . هنا ذهب - ثقيل وسميك - وماس وزمرد وياقوت - أحمر وأخضر !

كيتس : (يلعق شفتيه) أجل ، لقد رأيته هناك - إننى أعرف أن الزمرد أخضر اللون ويباع مقابل طن من الذهب .

بارتليت : (كما لو كان لم يسمع ، وكأنه يحلم ويتحدث بصوت مرتفع إلى نفسه) روم ونبيذ لكم أنتم الثلاثة ، والباقى لى ، أجل ، سأبقى فى الوطن حتى أموت . نعم ، يا إمرأتى ، سأعود إلى الوطن الآن . أجل ، يانات أنت وسو ، سيعود أبوكما ليبقى معكما طول حياته ! سأقلع عن صيد الحيتان كما كنت تطلبين منى دائما ياسارة . أجل سأذهب معك إلى الكنيسة كل أحد كما كنت تصلين من أجل ذلك . ستجعلين الجيران الملاعين يفتحون عيونهم دهشة ، عليهم اللعنة ! وسأشترى لك العربات والأقمشة الحريرية - لن يغلو عليك شئ ! وسأشتريها أيضا لسو ونات ، طالما حلمت بذلك مدى

سنوات ـ لم أعلق أى أمل على زيت الحيتان ـ فهذا مجرد مهنة ـ ولكنى كنت أتمنى دائما أن أقوم برحلة أعثر فيها على العنبر ـ على كمية كبيرة منه ـ وهو يساوى ذهبا !

هورن : (يرفع رأسه من على صدره مغالباً النعاس) نعم، العنبر ! إنه سلعة نفيسة .

بتلر : (فى همس للغلام ـ بحذر) أنظر ! ألم أكن على صواب ؟ لقد جنوا جميعاً !

بارتليت : (وصوته أقرب ما يكون إلى صوت من نوّم تنويما مغناطيسيا) حان الوقت لأن أستقر فى الوطن معك ياسارة . إن فى أرضى يارفاق كثيرا من الأشجار الباسقة ، حيث الظل والحشائش الخضراء ، ونسيم البحر الرطيب . (يبعد عن نفسه الرغبة فى النعاس ويحملق حوله فى غضب) يا لنيران الجحيم ! ما هذه الحماقات التى أفكر فيها ؟ (ولكنه هو والآخرين يروحون فى سبات على الفور . بعد فترة صمت يبدأ فى سرد قصته فى صوت كسول) منذ سنوات مضت ، إذ كنت أصيد الحيتان فى تيويدفورد، جاء إلىّ رجل يبدو من مظهره أنه أسبانى ـ وأراد أن يستأجر سفينتين على أن أقاسمه . وأرانى خريطة لإحـــدى الجزر الواقعة فى مكان ما بالقرب من شاطئ أمريكا الجنوبية . وكان هناك صليب مرسوم عليها يشير إلى مكان دفن القراصنة القدامى فيه كنزا لهم . ولكنى

كنت أحمق ، فلم أصدقه . وأخيرا أخذ سفينة سكوت ـ وأبحرت ولم يسمع أحد عنها شيئا منذ ذلك الوقت . ولكننى لم أنس قط هذا الرجل ولا خريطته . وكنت غالبا ما أقول لنفسى ، ليتنى خرجت إلى هذه الرحلة ـ (يعتدل ويصيح فى عنف وحشى) ولكن ها هو ذا الكنز عثرنا عليه ـ دون خريطة أو أى شئ . ذهب وجواهر وكل شئ ـ ها هو أمام عيوننا ! (إلى جيمى الذى تيقظ الآن) افتح الصندوق ياجيمى !

جيمى : (ينهض ـ ويقول فى صوت ناعم) سمعا ، ياقبطان . (يقترب من الصندوق ليرفع الغطاء)

بارتليت : (يعتريه تغير مفاجئ فى مشاعره ، يبعد ذراع جيمى بضربة قوية) ارفع يديك أيها الكلب ! إننى أحرس هذا الصندوق ، ولن تمسه يد إنسان غيرى !

جيمى : (يتراجع إلى الخلف فى خنوع ـ ويقول فى نفس اللهجة الناعمة دون ما تأثر) نعم يا قبطان . (يتهالك إلى شمال الصندوق) .

بارتليت : (يبدو فجأة أنه لمح الطباخ للمرة الأولى) إذن فأنت هنا ، آه ؟ (يزيد صوته غلظة من الغضب) لن أنسى ما قلته هناك عند الشاطئ ! من حسن حظك أننى لم أمسك بك وقتئذ ! قلت نحاس أصفر وأحمر ـ خردة ـ قلت ، ليس ذهبا ! لا يساوى شيئا ، أنت ياملعون يا كذاب (ينظر إلى آبيل) وكنت تلقى بأكاذيبك

لهذا الغلام أيضا ، أستطيع أن أدرك هذا من ملامحك . (فى تجهم) تعال هنا ياغلام .

آبيل : (يتقدم بخطوات متعثرة) نـ . . . نعم ، ياسيدى !

بارتليت : افتح هذا الصندوق ! افتحه ! ياولد ! ! (فى حركة يائسة من الخوف ، ينحنى آبيل ويرفع غطاء الصندوق . وبينما هو يفعل ذلك تقبض يد بارتليت الضخمة على ياقة سترته ويمسك به وقد مال وجهه فوق الصندوق . هورن وكيتس ، وجيمى كانا كا يقتربون ، تتطاول أعناقهم ليروا مافى داخل الصندوق) .

بارتليت : (يهز الغلام المذعور) ماذا ترى هناك ، أيها الصغير القذر ؟ ماذا ترى هناك ؟

آبيل : أو - دع رقبتى - سأختنق !

بارتليت : (فى عبوس) ستختنق بحق إذا لم تجبنى ، ماذا ترى ؟ هل هذا ذهب ؟ أجبنى - هل هذا ذهب ؟

آبيل : (مرتعداً) أجل . بالتأكيد - ذهب - إنى أراه !

بارتليت : (يدفعه جانبا . يترنح الغلام ويقع على الرمال . يستدير بارتليت إلى بتلر ويقول فى انتصار) أرأيت أيها الكذاب ؟ ذهب ! ذهب ! حتى الطفل يستطيع أن يعرف ذلك من أول نظرة . (فى لهجة تهديد مخيفة) ولكنك لا تصدق - أليس كذلك ؟

بتلر : (فى فزع) ربما كنت مخطئا ، ياسيدى . لم أنظر - جيدا .

بارتليت : تعال هنا ! (يقف وظهره مستند للشجرة) تعال هنا !

بتلر : نعم ياسيدى . (ولكنه ينظر حوله من آن لآخر كما لو كان يتحين الفرصة للهرب) .

بارتليت : جيمى ! (ينهض كانا كا بسرعة) عاجله بضربة من سكينك ياجيمى ، إذا حاول الهرب .

جيمى : (يضع يده على سكينه ، تلمع عيناه السوداوان بوحشية ـ يقول فى صوته الناعم) ياقبطان !

بارتليت : (للطباخ المرتعد) تعال هنا !

بتلر : (يذهب إليه فى شجاعة اليائس) نعم ياسيدى .

بارتليت : (يشير إلى محتويات الصندوق) أهذا ذهب ـ أم لا ؟

بتلر : أيمكن أن أتحسس شيئاً منه .

بارتليت : إلتقط قطعة

بتلر : (يلتقط خلخالا ثقيلا مطعما بزجاج ملون وينظر إليه لحظة ـ ثم يتظاهر أنه متأكد تماما) .

لقد كنت مخطئاً ياقبطـان . إنه ذهب خالص ـ أراهن أنه يساوى جميع أنواع النقود .

بارتليت : (فى انتصار مجنون) ها ! لقد رجعت إلى عقلك ، ولـكن بعد فوات الأوان أيها القذر ! لن يكون لك نصيب فيه ! ولأنك كذبت علىّ من قبل ، خذ هذه درسا لك (يرفع قبضته ويسدد

ضربة إلى بتلر ملقيا به على الرمال ، حيث يرقد لحظة وهو يتأوه ، وما زال ممسكا بالخلخال فى يده . تصدر عن الغلام صرخة فزع ويهرب إلى اليسار) .

بارتليت : سيكون هذا درساً لك ! (يجلس بجوار الصندوق . يجلس الآخرون بالقرب منه . يدس يديه فى الذهب ، ويقول فى لهجة تنم عن ابتهاج مجنون) ذهب ! أفضل من صيد الحيتان ، أليس كذلك يا رفاق ؟ أفضل من العنبر ، حتى لو حالفنى الحظ فعثرت على شئ منه . (ينهض بتلر مترنحا . يفحص الخلخال فى احتقار واشمئزاز . ويعضه ليتأكد . ثم يتجه خلسة نحو اليسار . يظهر على على وجهه تحول مفاجئ ويرمق القبطان فى كراهية ، وقد تقلصت ملامحه من الغضب) .

جيمى كاناكا : (مشيرا إلى بتلر) لقد أخذه ياقبطان !

بارتليت : (ينظر إلى الطباخ فى احتقار وازدراء) هل تحاول أن تتسلل بهذه القطعة من الذهب ، أيها اللص الخنزير ؟ إنك تعلم الآن جيدا أنها ذهب . أليس كذلك ؟ حسن ، يمكنك الاحتفاظ بها - إنها نصيبك لأنك قلت الحقيقة هذه المرة .

هورن : (يحتج فى جشع) لا تعطها له يا سيدى ! إنها من نصيبنا نحن الذين عملنا من أجلها بينما لم يفعل هو شيئاً !

بتلر : (يستولى عليه غضب هستيرى - متلعثما) من الذى طلبها

منك ؟ من ذا الذى يريدهذا الشئ اللعين ؟ لست أنا ! لا ! (يمسك الخلخال فى ازدراء) ذهب ! ها ـ ها ـ ذهب ؟ نحاس أصفر وقطع من الزجاج ! خرده لا تساوى شيئاً . ها هى ! خذها ! (يقذف بها على الرمال أمامهم . يخطفها بارتليت فى حرص)

بارتليت : (فى جنون) جيمى ! (ولكن بتلر يهرب إلى اليسار فى صرخة ذعر . ينهض جيمى بسرعة ويقف ويده على سكينه ، منتظرا أمرا آخر)

جيمى : (فى لهفة) هل أمسك به ـ وأطعنه ، ياقبطان ؟

بارتليت : (يتمهل ـ مقطباً) لا . سيكون هناك متسع لهذا ـ إذا اقتضى الأمر . إجلس . (يجلس جيمى مرة أخرى وقد عبس كما يعبس طفل غاضب . يحملق بارتليت فى الكنز ، يستمر فى تجهمه كما لو كان سلوك بتلر قد أقلقه وجعله حائرا مضطربا . يهمهم لنفسه) غريب ! غريب ! لقد قذف بها كما لو كانت قطعة من الطين ! إنه يعرف ـ ومع ذلك قال إنه لا يريدها ـ قال إنها خردة ـ وهو يعرف أنها ذهب ! لقد قال بنفسه منذ لحظة إنها ذهب ـ إنه شخص غريب . لماذا يقول عنها إنها خردة فى الوقت الذى يعرف أنها ذهب ؟ هل تظن ـ أنه لا يعتقد أنها ذهب ؟

هورن : لقد جن جنونه حين لكمته فطرحته أرضا .

بارتليت : (يهز رأسه فى عبوس) ليست هذه أول مرة أطرحه

أرضا ، ولكنه لم يكن يجرؤ على معارضتي - هكذا - من قبل ، لا ، لابد أن شيئاً آخر حدث له - شيء ما .

هورن : لقد أخبرته بأن لا نصيب له ياسيدي . هذا هو الذي أثاره .

بارتليت : (يهز رأسه ثانية) لا . إن عينيه تدلان على أن في رأسه فكرة ما ، شيئاً يخفيه ! نصيبه - ربما كان يعتقد أنه سينال نصيبه بطريقة أو بأخرى ، رغما عنا ! ربما ظن أن نصيبه لن يكون كل مايريد ، ربما ظن أننا سنموت من الجوع والظمأ قبل أن يتم إنقاذنا - وأنه سيعيش ثم - يعود ليحصل على الصندوق كله ! (ينهض فجأة في غضب) لعنة الجحيم - هذه هي الحقيقة ، يارفاق هذه هي خطته الخفية ، يراقبنا ونحن نموت - ويسرقه منا !

كيتس : (ينهض على ركبتيه ويهز يده فوق رأسه مهددا) مرجيمي أن يطعنه بالسكين ياسيدي ! مرجيمي - فليس معي سكين ، وإلا لطعنته أنا . (ينهض مترنحا من الضعف)

جيمي : (في لهفة) إذا أمرتني ، فسأطعنه ، ياقبطان وأطعن الغلام هو الآخر .

كيتس : (في ضعف) إنني ضعيف ، ولكني أستطيع أن أتكفل به بالرغم من ذلك ، إنني ضعيف - (تتهالك ركبتاه تحته . في توسل يرثى له) لو كنت أحصل على جرعة واحدة تبعث فيّ شيئاً من القوة ! لو حصلت على جرعة واحدة من الماء ، لكنت تكفلت

به ! (يستدير كما لو كان يريد أن يمضى فى خطواته المترنحة) لا بد أن هناك ماء . فلنبحث مرة ثانية . سأذهب لأرى — (ولكن المجهود الذى يبذله أكثر بكثير من قوته فيقع على الرمال يلهث وقد فغر فاه)

بارتليت : (يستجمع إرادته — ويقول فى تجهم) ضع «كلابة» على فكك هذا يا كيتس وإلا فسأضعها أنا .

كيتس : (ينشج بالبكاء) إذا لم نعثر على الماء — فسيرقبنا ونحن نموت .

جيمس : (محرضاً) من الأفضل أن تسمح لى بطعن هذا الطباخ وبقتل الغلام أيضاً !

بارتليت : وهل قتلنا إياهما يجعلنا نشرب أيها الأغبياء ؟ (بعد فترة صمت يهز رأسه كما لو كان يريد أن يبعد خاطراً عن رأسه ، ويهمهم) كفاكم هذا ! (فجأة فى لهجة أمر حادة) كفاكم هذا ، قلت لكم ، إننا لا نراقب السفن كما يجب . تسلق هذه الشجرة يا جيمى — أسرع ! (يتسلق كانا كا شجرة الكاكاو بسرعة حتى يصل إلى قمتها وينظر إلى جميع الجهات حوله . ينهض الآخرون فى ألم على أقدامهم ويحملقون فيه ، وقد تجدد أملهم) .

جيمى : (فجأة ، فى صوت مبتهج) إننى أرى شيئا — أرى شراعا يا قبطان .

كيتس : (يطوح بذراعيه فى جنون) شراع — شراع !

جيمس : إنها تبدو أشبه بسفينة تجارية ياقبطان . إنها لا تغير اتجاهها ، إنها تقترب منا كثيراً . إنها تسير بأقصى سرعتها . وتساعدها الرياح القوية . إنها تقترب بسرعة .

هورن : (يربت على ظهر كيتس) تتجه إلينا مباشرة يا كيتس ، هل تسمع ؟

بارتليت : انزل (يهبط جيمى ، يصيح بارتليت فى ابتهاج) ألم أقل لكم ؟ . فى الوقت المناسب تماماً . عند ما تقترب منا سنذهب إلى الشعب ونصيح ونلوح لها . سيروننا ! إن الحظ معنا اليوم ! (تقع عيناه ، على الكنز — يجفل) ولكن الآن ماذا نفعل بهذا الصندوق — بالذهب ؟

هورن : (بسرعة) إنك لن تخبر من على ظهر السفينة بأمره !

كيتس : سيطالبون باقتسامه معنا .

بارتليت : (فى احتقار) هل تظنى أبله ؟ سندفنه هنا .

كيتس : (فى أسف) نتركه وراءنا لأى شخص يعثر عليه ؟

بارتليت : سندفنه على عمق كبير ، بحيث لاتستطيع الشياطين نفسها أن تعثر عليه. وسنرسم خريطة لهذه الجزيرة . (يأخذ قطعة من الورق وجزءاً صغيراً من قلم من جيبه . ويشير إلى أسفل الشجرة) احفرا حفرة هنا أنتما ياهورن وجيمى — وعمقاها — (ينحنى الإثنان ويبدآن فى حفر الرمال بأيديهما . يرسم بارتليت على الورق)

هذا هو المستنقع والشعب (إلى كيتس الذى ينظر من فوق كتفه) وهنا موقع الشجرة ، هل ترى يا كيتس ، سأضع صليباً فوق المكان الذى نخبيء فيه الذهب (فى نشوة) أوه ، إن جهنم نفسها لن تمنعنى من العثور على هذا المكان مرة ثانية ! عندما أعود إلى الوطن سأعد سفينة صغيرة نستطيع أن نبحر بها نحن الأربعة ، وسنعود إلى هنا لنستخرج الكنز ، لن يطول انتظارنا ، أقسم لكم !

هورن : (يعتدل) هل هذا العمق كاف ياسيدى ؟

جيمس : (الذى يعتدل وينظر إلى اليسار ويشير فجأة باضطراب) إنه ينظر إلينا يا قبطان ! الطباخ ، إنه ينظر إلى هنا ! والغلام ينظر أيضا ! لقد نظرا مليا ياقبطان !

(يقف الأربعة يحملقون فى بتلر والغلام ، وكانوا قد نسوا وجودهما فى الجزيرة فى غمرة إنفعالهم المحموم) .

كيتس : (فى فزع أحمق) سيعرفان أين خبيء ياسيدى !

هورن : سيخبران من على السفينة !

كيتس : (فى وحشية) يجب أن نتخلص منهما يا قبطان ! سكينك ياجيمس ! سكينك . (يتعثر تجاه جيمس ، الذى يدفعه جانبا بقوة وينظر إلى القبطان متسائلا) .

بارتليت : (الذى يقف دون حركة كما لو كان قد ذهل من تعقيد الأمر بهذه الصورة - يقول ببطء) إذن فقد كان الكلبان المتسللان

يرقباننا ! لقد نسيت أنهما هنا . (يخبط على ركبته بقبضته المضمومة) علينا أن نفعل شيئاً بسرعة ! ستصل هذه السفينة بعد قليل حيث يمكنهم رؤيتها ، وعندئذ سيلوحان ويصرخان — وستراهما السفينة !

هورن : وداعا لذهبنا !

جيمى : (فى لهفة) قل كلمة واحدة ياقبطان ، فأقتلهما على الفور . وبهذا لا يصيحان للسفينة ، سيلزمان الصمت إلى الأبد !

بارتليت : (ينظر إلى جيمى فى دهاء مجنون ولكنه يجيب على هورن فقط) أجل وداعا للذهب يا هورن . هذا الطباخ الحقير ، إنه يسخر منا ، يقول إنه ليس ذهباً فى الوقت الذى يعرف أنه ذهب — سيخبرهم — سيجد متعة فى إخبارهم .

هورن : وهذا الغلام الحقير . إنه ليس أفضل منه — سينضم إليه قلباً وقالباً .

بارتليت : أما إذا لم يخبرا قبطان السفينة ، فذلك لأنهما يضعان الخطة للعودة قبل أن نستطيع نحن ذلك — ويخرجان الكنز — هذا هو الطباخ — إن هناك شيئا غريبا فى رأسه — شيئا يخفيه — متظاهراً بأنه لا يعتقد أنه ذهب ماذا تظن ياهورن ؟

هورن : أعتقد — أن الوقت ضيق — وأن الكلام لن يجدى شيئاً . (محرضا) سيقضيان علينا عن قريب إذا استطاعا ذلك .

بارتليت : أجل ، إن نية القتل كانت تطل من عينيه عند ما نظر إليّ .

هورن : (يخفض صوته حتى يصل إلى الهمس) مرجيمى — ياقبطان بارتليت — هذا رأيي !

بارتليت : ذلك ضد القانون ، ياسيلاس هورن !

هورن : إن القانون لا يصل إلى هذه الجزيرة .

بارتليت : (فى صوت رتيب) إن ذلك ضد القانون الذى أقسم القبطان على المحافظة عليه فى أى مكان يبحر إليه . إنهما لم يرفضا القيام بالواجب . ولم يتمردا .

هورن : من الذى يعرف أنهما لم يفعلا ذلك ؟ إنهما يحاولان أن يسرقا ما تمتلكه أنت ،وهذا أسوأ من التمرد . (كتحريض نهائى) وجيمى وثنى لا يخضع لأية قوانين وهو أقوى منك . إنك لا تستطيع أن تمنعه .

بارتليت : أجل — لا أستطيع أن أمنعه .

جيمى : (فى لهفة) سأطعنهما يا قبطان ، فلا يستطيعان البوح بشيء . (لا يجيب بارتليت ، ولكنه يحملق فى الكنز ، يشير هورن بحركات عنيفة لجيمى ليذهب . يحملق جيمى فى وجه سيده . ثم يبدو أنه يقرأ فيه الأمر المباشر . يزوم فى رضا ، وينزع سكينه من جرابها ، ويذهب متسللا إلى اليسار ، يرفع كيتس نفسه على مؤخرته ليراقب

حركات جيمى . يجلس هورن وبارتليت جامدين فى توتر وعيونهما مثبتة على الصندوق) .

كيتس : (فى همس مضطرب) إننى أراهما ! إنهما جالسان وظهراهما لنا ! (فترة صمت قصيرة) ها هو جيمى . إنه يزحف على يديه خلفهما . إنهما لم يلحظاه — إنه خلفهما تماماً — فوقهما تقريباً (فترة صمت . تصدر عن كيتس صرخة شيطانية — صرخة بتلر المكتومة تأتى من اليسار) فى منتصف ظهره بالضبط ! انتهى الطباخ ! إن الغلام يجرى ! (صرخات سريعة متعاقبة تصدر عن الغلام ، وأصوات أقدام تجرى نحوهما ، سقوط جسم وحشرجة وهو يموت) .

هورن : (فى رضا) انتهى الأمر يا سيدى !

بارتليت : (فى بطء) إننى لم أنطق بكلمة ، تذكر ذلك ياسيلاس هورن !

هورن : (فى خبث) ولا أنا نطقت بكلمة ياسيدى . لقد قام جيمى بذلك من تلقاء نفسه . إذا كان لوم — فسيقع عليه .

بارتليت : (فى اكتئاب) لم أنطق بكلمة ! (يعود جيمى من الشمال دون أن يصدر عنه صوت) .

جيمى : (يبتسم فى فخر وحشى) لقد انتهيت منهما تماما ياقبطان . لن يخبرا أحدا . لن يفتحا فمهما .

كيتس : (فى رقة متناهية) أنت رجل يا جيمى — رجـل شجاع حتى وإن كنت (يهمهم فى كلمات غير مفهومة) .

جيمى : (عند ما يتحاشى القبطان النظر إليه) هل أتسلق هذه الشجرة ياقبطان ، وألق نظرة على السفينة ؟

بارتليت : (ينهض فى جهد) أجل . (يتسلق جيمى الشجرة) .

هورن : (ينهض — بلهفة إلى أين تتجه ياجيمى ؟

جيمى : إنها قادمة ياقبطان ، آتية بسرعة جداً .

هورن : (ينظر فى الاتجاه الذى يشير إليه جيمى) إننى أستطيع أن أرى أعلى أشرعتها من هنا ، انظر !

بارتليت : (ينهض — ويحملق فى البحر) أجل ! ها هى — تتجه إلينا بسرعة . (فى لحظة يتخلى عنه قلقه واكتئابه ، ويعود قائدا كما كان . يضع الخلخال الذى كان فى يده فى جيب سترته — يقول فى خشونة) انزل من عندك ! أمامنا عمل ننجزه (يهبط جيمى) هل تركتهما على مرأى النظر فوق الرمال المكشوفة ؟

جيمى : أجل ، لم أمسسهما ياقبطان .

بارتليت : إذن ستمسسهما الآن . اذهب ، ادفنهما ، وغطهما بالرمال — واحرص على أن تتقن ذلك حتى لايراهما أحد . هيا الآن ، أسرع .

جيمى : (مطيعاً) سأذهب ياقبطان (يسرع ناحية الشمال) .

بارتليت . وأنت هيا إلى الشعب ياهورن ! (يركل كيتس الراقد أمامه) انهض يا كيتس ! اذهب مع هورن ، وعندما تريان السفينة هللا ولوحا لها ، واصرخا كالمجانين ، هل تسمعانني ؟

هورن : أجل ، ياسيدى !

بارتليت : سأبقى هنا وأدفن الذهب . من الأفضل أن تسرعا فى ذلك ! قد يوجهوا إلينا منظارا مقربا ، عندما يرون الجزيرة من فوق ظهر السفينة . انهض (يركل كيتس ثانية) .

كيتس (مزمجرا) إننى مريض! (فى كلمات متقطعة) لن أستطيع القيام بالعمل هذه النوبة (صارخا) أريد ماء !

بارتليت : (فى احتقار) أيها الكلب ! ساعده ياهورن .

هورن : (يضع يده تحت كتفه) انهض يارجل ! لابد أن تلوح للسفينة . سيوجد ماء على ظهرها - براميل ممتلئة !

كيتس : (ينهض متعثرا - يهز يد هورن بعنف) ماء على ظهرها! (عيناه المحملقتان تريان أشرعة السفينة فى الأفق . يبدأ فجأة فى الجرى مترنحا ويختفى فى اتجاه الشاطئ ، فى المؤخرة ، وهو يلوح بذراعيه بوحشية ويصيح) آهوه ! آهوه ! ماء ! (يجرى هورن خلفه)

بارتليت : (بعد أن يلقى نظرة سريعة حوله ، يتهالك على ركبتيه بجانب الصندوق ويدس يديه فيه . يصدر عن الصندوق صليل معدنى وهو يتلمس بأصابعه القطع فى يديه فى ابتهاج) أنت فى مأمن الآن .

(فى لهجة حالمة ، عيناه مثبتتان أمامه فى غيبوبة حالمة) لن أضطر بعد ذلك إلى صيد الحيتان فى البحار القذرة ! سأستريح فى وطنى و بيتى . ذهب ! كنت أحلم به طوال حياتى ! (يهز نفسه - يقول بوحشية) أيها الأبله ! هل تفقد حواسك ، فى الوقت الذى يتم فيه إنقاذك ؟ إنك حسن الحظ (يمسك بغطاء الصندوق و يضع الصندوق فى الحفرة . يهيل الرمال عليه وهو يهمس فى صوت أجش) إبق آمنا ، هل تسمعنى ؟ . إننى سأعود إليك ! أجل - سأخرجك مرة ثانية رغما عن جهنم نفسها ! (يمكن سماع أصوات هورن وجيمى من مسافة بعيدة وهما يصيحان .

(تنزل الستار)

الفصل الثاني

(المنظر)

داخل عوامة صغيرة قديمة على الميناء حيث يقطن بارتليت على ساحل كاليفورنيا . فى المؤخرة مدخل مزدوج يطل على نهاية رصيف البحر إلى الخليج وخلفه البحر . إلى اليسار ، نافذتان وباب آخر يفتح على حوض السفن . إلى جانب هذا الباب سرير بحار وحبل منشور عليه بطاطين ووسادة بدون غطاء . فى الوسط إلى الأمام مائدة عليها زجاجة وكئوس ، وثلاث مقاعد من القش . إلى اليمين زورق صيد . تتناثر مختلف الأشياء الخاصة بالسفينة مثل المراسى القديمة والحبال ومرفعة الأثقال وأوعية الدهان أو السوارى إلخ .

الوقت عصراً ، بعد مرور ستة شهور . ضوء الشمس يتسلل باهتا من خلال ألواح النافذة المغبرة التى نسج عليها العنكبوت خيوطه .

يرفع الستار على بارتليت وسيلاس هورن .

هورن يرتدى ملابس العمل وهى من الدمور ملطخة بالدهان . لا يبدو على وجهه الجامد أى أثر لما عاناه فى الجزيرة . أما بالنسبة لبارتليت فقد ظهر ذلك على وجهه بوضوح إذ اشتعل

شعره شيباً وظهرت فجوات عميقة تحت عظام وجنتيه . فكه وفمه المطبق يدلان على تصميم شديد كما لو كان يقاوم ضعفاً فى داخل نفسه ، ضعفا يبدو فى عينيه اللتين تنمان عن شيء من الخوف والرغبة فى تجنب عيون الآخرين . يرتدى نفس الملابس التى كان يرتديها فى الجزيرة ، يجلس إلى المائدة فى الوسط وهو يحدق إلى الأرض أمامه .

هورن : (من الواضح أنه ينتظر أن يقول القبطان شيئاً - بعد فترة صمت ينظر إليه فى قلق) من الخير أن أعود إلى ظهر السفينة ياسيدى (لا يتلقى جوابا فيتجه إلى الباب على اليسار) .

بارتليت : (ينهض بمجهود) انتظر . (بعد فترة صمت) إن المد سيكون على أشده فى فجر الغد . إنهما يعرفان أننا سنبحر حينئذ - ألا يعرف كيتس وجيمى ذلك ؟

هورن : أجل ، ياسيدى . كم سيسران لهذا النبأ . وأنا أيضاً ياسيدى (فى ابتسامة جشعة) إن كل حديثنا كان يدور حول هذا منذ أن أتيت بنا إلى هنا - استخراج الذهب !

بارتليت : (فى تأثر) أجل ، الذهب . أعتقد الآن أننا سنحصل عليه عن قريب . هذه السفينة - والطريقة التى أعددناها بها - يمكنها أن تحمل الإنسان إلى القطب وتعود به سالما ! سنعود ومعنا الصندوق على ظهر السفينة بعد ستة شهور ، ما لم - (يتردد)

هورن : (فى قلق) ماذا ، ياسيدى ؟

بارتليت : (بسرعة) الطقس ، أيها الأحمق !

هورن : سنعتمد على الحظ فى ذلك . (ينظر إلى القبطان فى استطلاع) وما دمنا نتحدث عن الحظ ياسيدى - فإن السفينة لم تدشن بعد .

بارتليت : (ينم عن عزم مفاجئ وحشى) ستدشن !

هورن : لن يكون هناك حظ لسفينة تقلع دون أن يكون لها اسم .

بارتليت : سنطلق عليها اسما ، قلت لك ! ستسمى سارة الن ، وستدشنها «سارة» بنفسها .

هورن : كان ينبغى أن نفعل ذلك فى الحال ، عندما أنزلناها إلى الماء منذ شهر مضى .

بارتليت : (فى تجهم) أعرف ذلك كما تعرفه . (بعد فترة صمت) ولكن سارة أبت أن تدشنها حينذاك . إن للنساء أفكارا غريبة - حتى وإن كن مرضى . (فى تحد كما لو كان يخاطب شخصا خارج الغرفة) ولكن لابد أن سارة ترغب فى ذلك الآن !

هورن : أجل ، ياسيدى (يستدير مرة أخرى لينصرف ، كما لو كان حريصاً على الانصراف) .

بارتليت : انتظر ! هناك شئ آخر أريد أن أسألك عنه . إن نات ظل يحوم حول السفينة كل أوقات فراغه فى الفترة الأخيرة (فى غضب متزايد) أرجو أن تكونوا قد تذكرتم ما أمرتكم به ، أنتم الثلاثة . ألا تفضوا له بشئ !

هورن : (يتراجع خطوة إلى الخلف - ويقول بسرعة) ليس ثمة خوف من هذا ياسيدى !

بارتليت : إننى لا أخاف أن أخبره بأمر الذهب ياسيلاس هورن

(فى بطء) هناك أشياء أخرى ـ أريد ألا يعرفها .

هورن : (يفطن على الفور إلى ما يقصده ـ يهدئ من روعه) لم نكن فى وعينا عندما حدثت هذه الأشياء ياسيدى .

بارتليت : مجانين ، نعم ! ولكنى لم أنس ـ الاثنين . (يقاوم رعدة ، ثم يستمر ببطء) ألم يعودا إليك قط ـ أقصد فى نومك ؟

هورن : (متظاهرا بعدم الفهم) من هما ياسيدى ؟

بارتليت : (فى تأكيدجاد) ذلك الطباخ وذاك الغلام ـ إنهما يحضران إلىّ ، لقد أصبحت أخشى أن أنام ـ لا أقصد خوفا منهما . (فجأة متحديا ومتظاهرا بالشجاعة) إن جميع أشباح جهنم لاتستطيع أن تمنعنى من القيام بعمل عزمت عليه (جامعا شتات نفسه) ولكنى استيقظت وأنا أتحدث بصوت مرتفع وأخشى أن يكون قد سمعنى أحد .

هورن : (فى قلق ، محاولا أن يهدئ من روعه) إنك لم تشف تماما من تأثير الشمس والعطش فى الجزيرة ياسيدى .

بارتليت : (يبدو أنه اطمأن ـ ويحاول استعادة بشاشته) اجلس قليلا ياهورن ، وتناول كأساً من الشراب (يفعل هورن ذلك . يصب بارتليت نصف كأس من الروم لنفسه ويدفع الزجاجة إلى هورن)

هورن : فليحالفنا الحظ فى رحلتنا ياسيدى .

بارتليت : نعم ، الحظ ! (يشربان . يميل بارتليت إلى الأمام

ويربت على ذراع هورن) نعم ، لابد من مرور وقت حتى يمكن الشفاء من أثر الظمأ والشمس ! (فى كآبة بعد فترة صمت) إننى لم أنطق بكلمة ياسيلاس هورن . هل تتذكر ؟

هورن : ولا أنا . لقد فعل جيمى ذلك من تلقاء نفسه (فى دهاء) إننا على استعداد للقسم على الإنجيل بهذا فى أى محكمة . وحتى إذا كنت قد أصدرت أمرا ، فلا جدوى من التفكير فى هذا ياسيدى . ألم يستحقا ما نالاه ؟ ألم يتآمرا سرا على سرقة الذهب ؟

بارتليت : (تلمع عيناه) أجل !

هورن : وعندما قلت له إنه لن يحصل على نصيبه منه ، ألم يكذب فى وجهك ـ وقال إنه ليس ذهبا ؟

بارتليت : (فى غضب مفاجئ) أجل قال : نحاس وخردة ـ ذلك الكذاب القذر ! هذا مايظل يردده عندما أراه فى المنام ! إنه لم يصدق ـ رغم أنه اعترف أنه ذهب ! لقد كان يعرف الحقيقة ! كان يكذب لغرض فى نفسه ! (ينهض فى تحد وثقة) لقد نالا ما يستحقانه . فليذهبا إلى الجحيم (يصب كأسا آخر لنفسه وكأسا لهورن) .

هورن : حظا سعيدا ، ياسيدى ! (يشربان . طرق على الباب إلى الشمال يتبعه صوت مسز بارتليت تنادى بضعف) «إيزايا ! إيزايا !» (يجفل بارتليت ولكنه لا يجيب . يلتفت إليه هورن مستفسرا)

إنها مسز بارتليت ياسيدى ، هل أفتح الباب ؟

بارتليت : لا . لا أريد أن أراها بعد . (ثم فى غضب مفاجئ دون ماسبب) دعها تدخل — عليك اللعنة !

(يذهب هورن ويفتح الباب . تدخل مسز بارتليت وهى سيدة نحيلة ضئيلة الجسم فى الخمسين . أحنى المرض أو بوادر شيخوخة مبكرة كتفيها ، وشيبت شعرها وأجبرتها على المشى فى ضعف متكئة على عصا . مازال يشع من عينيها بريق تصميم ، ويعلو وجهها نظرة تدل على عزم أكيد . تقف محملقة فى زوجها . تدل نظراتها على أنها تتهم زوجها بشئ)

بارتليت : (متجنبا النظر إلى عينيها - فى اقتضاب) والآن ، ماذا تريدين منى ياسارة ؟

مسز بارتليت : أريد أن أتحدث إليك على انفراد ، يا إيزايا .

هورن : سأعود إلى السفينة ياسيدى (يبدأ فى الانصراف)

بارتليت : (فى لهجة تكاد تنم عن الخوف) انتظر . سأصحبك . (يلتفت إلى زوجته - فى رقة لا تخلو من خشونة) لا ينبغى أن تهبطى التل ياسارة . لقد أخبرك الطبيب بأن تلزمى البيت ولا تهملى صحتك .

مسز بارتليت : أريد أن أتحدث إليك على انفراد يا إيزايا .

بارتليت : (فى قلق شديد) لا بد لى من العمل فى السفينة ياسارة .

مسز بارتليت : هل ستبحر عن قريب ؟

بارتليت : (يلتفت فجأة إليها متحدياً) غدا فى الفجر !

مسز بارتليت : (وعيناها مثبتتان فى اتهام على عينيه) وهل ستبحر فيها؟

بارتليت : (فى نفس اللهجة المتحدية) نعم سأكون عليها ! من غيرى سيكون قبطانها ؟

مسز بارتليت : على سفينة بلا اسم .

بارتليت : سنطلق عليها اسمك !

مسز بارتليت : كلا !

بارتليت : قلت لك سنطلق عليها اسمك .

مسز بارتليت : كلا .

بارتليت : (فى هياج شديد محاولا أن يتغلب بإرادته على إرادتها التى لا تلين . يزمجر مهددا) سترين ! سنناقش هذا فيما بعد ، أنت وأنا . (دون أن ينظر مرة أخرى إلى زوجته ، يسير أمامها ويختفى عند مدخل الباب ، يتبعه هورن . تتهالك مسز بارتليت فى مقعدها أمام المائدة ، تظهر فجأة ضعيفة محطمة . ثم يتناهى من الخارج صوت ضاحك لفتاة . يبدو أن مسز بارتليت لا تسمعه ، ولا تلاحظ سو ودرو عندما يدخلان ، سو فتاة رشيقة جميلة فى حوالى العشرين ، ذات عينين زرقاوين واسعتين ، وشعر كستنائى يميل إلى الاحمرار . لون بشرتها الذى لفحته الشمس يدل على الصحة ـ وبالرغم من ضآلة جسمها فإن مظهرها يوحى بحيوية متدفقة وقوة أعصاب . درو شاب طويل القامة قوى البنيان فى الثلاثين . وهو ليس أنيقاً بأى حال ، ولكن وجهه الصبيانى الذى لوحته الشمس فجعلت لونه أسمر داكنا تبدو عليه قوة تدل على الصحة

والابتهاج ، وتسبغ عليه سحرا لا يقاوم . لا يمكن لمن يراه أن يخطئ أنه ضابط سفينة . فهذه المهنة مكتوبة على وجهه وتبدو فى مشيته وصوته ومظهره كله .

ســو : (وهما يدخلان) سيكون إما هنا أو على السفينة يادانى . (ثم ترى أمها ، فتفاجأ وتقول بدهشة) أمى ! يا إلهى ، ماذا تفعلين هنا ؟ ألا تعلمين أنك يجب ألا . .

مسز بارتليت : (تجفل ـ وتلتفت إلى ابنتها وتقول بابتسامة مفتعلة) والآن ياسو ! لا تسترسلى فى تأنيبى (ثم تلمح درو ـ فتقول فى سرور مفتعل) لابد أن هذا دانى درو وقد عاد إلى مينائه أخيرا ! تستطيع أن تقبل امرأة عجوزا يادانى ـ دون أن تثير غيرتها .

درو : (يقبلها ـ مبتسما) إنى مسرور بالتأكيد لرؤيتك ثانية ، وبعودتى أنا نفسى .

مسز بارتليت : لقد قرأنا فى الصحيفة نبأ وصول سفينتك إلى سان فرنسيسكو . كانت سو على أحر من الجمر منذ ذلك الوقت .

ســو : (محتجة) أماه !

درو : (مبتسما) لقد غبت عن سو مدة طويلة ـ أربعة شهور . إنك تتذكرين يا أماه ، لقد أبحرت مباشرة بعد الضجة الكبيرة التى حدثت ـ عندما عاد القبطان بارتليت ، بعد أن كنا جميعاً قد سمعنا أن التريتون قد تحطمت واعتقدنا أنه من المفقودين .

مسز بارتليت : (يغيم وجهها - فى نبرة حزن عميق) نعم .

(يدهش درو وينظر إلى سو مستفسرا . تنهد . تنهض مسز بارتليت بصعوبة بمعاونة درو) .

سو : سنعاونك على الرجوع إلى المنزل .

مسز بارتليت : لا . لقد سئمت البقاء فى البيت . إننى فى حاجة إلى الشمس والهواء النقى . والجو اليوم أجمل من أن أبقى فى البيت. سأذهب إلى رصيف الميناء وأراقب أباك وهو يعمل فى السفينة . لم يعد هناك وقت كثير لرؤيتها ياسو . يقول أبوك إنهم سيبحرون غدا فى الفجر .

سو : غدا ؟ إذن - فأنت ذاهبة لتدشينها ؟

مسز بارتليت : (فى تصميم بالغ) لا ، لن أفعل ياسو (تلمح نظرة درو التى يثبتها عليها فى فضول ، وحيرة ، فتحاول على الفور أن تستأنف الحديث بلهجتها المرحة) ماعلينا ، فلا شك أن دانى يعجب أى هراء نتحدث عنه . هذا كل مافى الأمر ياداني ، إن القبطان بارتليت قد سيطرت عليه فكرة حمقاء - إنه سيهجر صيد الحيتان طيلة حياته لمجرد أن سفينته تحطمت فى رحلتها الأخيرة ، وأعد هذه السفينة الصغيرة ليتاجر فى الجزر . يقول إن هذا سيعود عليه بالمزيد من المال ولكنى لا أوافق على هذه الأفكار المجنونة . ولن أوافق على حماقته بتدشينى السفينة باسمى ، كما يريدنى أن أفعل . ينبغى أن

يستمر فى صيد الحيتان ، كما كان يفعل طوال حياته . ألا تعتقد ذلك يادانى ؟ .

درو : (محرجا) بالتأكيد — إنه يعتبر من أبرع صيادى الحيتان هنا على الساحل — واعتقد . .

مسز بارتليت : هذا ماقلته له — ولكنه عنيد — يحسن أن أخرج ، وما زال هناك شمس ودفء . إن المكان هنا — رطب بالنسبة لعجوز مثلى (يساعدها دور إلى الباب إلى اليسار ، يفتحه ويخرج الاثنان ، تتبعهما سو ، حاملة مقعدا . بعد فترة صمت ، تعود سو ودرو . تقفل سو الباب بعناية بعد دخولهما . ينم وجهها عن الاضطراب) .

درو : (ينظر إليها لحظة ، ثم يتقدم إليها ويضع ذراعه حولها) ماذا يضايقك ياسو ؟ .

سو : (تحاول أن تفتعل ابتسامة) لا شيء يادانى .

درو : أوه ، هناك شيء ! لاجدوى من التهرب بهذه الطريقة . شعرت أن فى الجو شيئا منذ أن نظرت إلى والدتك .

سو : نعم تدهورت صحتها بشكل رهيب منذ أن رأيتها آخر مرة .

درو : لا أقصد مجرد المرض — فقط — هل لاحظت كيف كانت — تضطر نفسها إلى الحديث بمرح ؟ وكان من عادتها أن

تكون مبتهجة بشكل طبيعي (يحك رأسه فى حيرة حقة) ولكن ــ ليس هذا ماأقصده أيضا . ماهو هذا الشيء ياسو ؟ ربما استطعت أن أساعد بشكل ما . إن القلق يبدو عليك أيضاً . ماهذا ؟ . لاشك أنك تستطيعين أن تخبريني ، ألا تستطيعين ؟

سو : أجل ، ياداني ــ بالطبع ــ كل مافى الأمر أننى متحيرة كما أنت متحير فى سبب كل هذا . إنه شيء ماحدث بين أمى وأبي ــ شيء لايعرفه غيرهما ، يبدو أنه حدث ذات صباح بعد أن رحلت ــ بعد مضى حوالى أسبوع من مجيئه مع هؤلاء الرجال الثلاثة المخيفين ــ وخلال الأسبوع الأول كان تصرفه لاغبار عليه ــ كعادته تماما ــ فيما عدا أنه كان يتحدث حديثاً عجيباً من آن لآخر عن سروره لغرق التريتون ، ويعدنا بأننا سنصبح من أصحاب الملايين إذا بدأ رحلاته على السفينة . ويبدو أن أمى لم تكن تعترض على خروجه للتجارة وقتئذ . ثم ، لابد أن يكون حدث شيء بينهما فى عشية اليوم الذى اشترى فيه السفينة . فإن أحدا منهما لم يهبط من الطابق الأعلى لتناول طعام الإفطار ، وصعدت إلى أمى ، ووجدتها مريضة مرضاً شديدا حتى أننا أرسلنا نستدعى الطبيب . وقال الطبيب إنها تعانى من أثر صدمة شديدة لايدرى ماهى ، بالرغم من أنها رفضت أن تبوح له بكلمة واحدة . ووجدت أبي قد هبط وجلس فى هذه العوامة .

وكان قد نقل هذا السرير البحرى إلى هنا ، وقال إنه ينام هنا بعد ذلك لأنه يريد أن يكون قريبا من السفينة .وجرت الحال على هذا المنوال منذ ذلك الحين . فأصبح ينام هنا ، ولم يصعد إلى المنزل أبدا إلا فى موعد الغداء . ولا أعتقد أنه انفرد بأمى لحظة واحدة منذ ذلك الوقت . أما هى ـ فكانت تحاول أن تضيق عليه الخناق لكى تنفرد به . لاحظت ذلك ، بالرغم من أنها كانت تبذل أقصى مافى وسعها لتخفى ذلك عنى وعن نات . وكانت فى أثناء ذلك تزداد ضعفا ومرضا يوما بعد يوم (تنهار) أوه ، إنى . . . كانت هذه الشهور الأخيرة فى غاية الفظاعة .

درو : (مواسيا) كفى ! سينتهى كل هذا على خير !

سو : إننى متأكدة من السبب الذى دعاها إلى التسلل إلى هنا اليوم . إنها مصرة على أن تنفرد به .

درو : (مقطبا) يبدو لى أن الخطأ لا بد أن يكون خطأ والدك ياسو ، مهما كان نوع هذا الخطأ . هل حاولت أن تتحدثى إليه ؟

سو : أجل — مرات كثيرة ، ولكن كل ما كان يقوله هو « هناك أشياء لا تهمك ياسو . ستعرفين عند مايحين الوقت » . ثم يتحول عن الموضوع بأن يسألنى ما الذى أتمناه فى الحياة إذا كان يمتلك أموالا طائلة . وفى ذات مرة كان يبدو أنه فى شدة

الخوف من شيء ما ، وقال لى : فلتشرعى بالزواج من دانى يا سو ، تزوجيه وابتعدى عن كل هذا .

درو : (بابتسامة ودودة) من المؤكد أنى أتمنى أن تأخذى بنصيحته يا سو ! (يقبـلها) .

سـو : (فى شوق عظيم) أوه ، كم أتمنى لو استطعت ياداني .

درو : لقد ادخرت مالا كثيراً الآن ياسو ، وآمل ألا يمر وقت طويل قبل أن تـكون لى سفينتى الخاصة ، ما دمت حصلت على شهادة قبطان . كان أملى فى نهاية هذه الرحلة أن . . .

سـو : إن هذا نفس ماأتمناه أيضا يا دانى . ولـكن هذا لا يمكن أن يتم الآن . فأمى ضعيفة جداً ، وليس هناك من يعتنى بها غيرى . (تهز رأسها . وتقول فى لهجة حازمة) لا أستطيع أن أرحل عن البيت الآن ، ياداني . لا يصح هذا . لن أشعر بسعادة حقيقية — ما لم يسو هذا الخلاف — الذى بين أبى وأمى — مهما كانت طبيعته ويعودا إلى ما كانا عليه (متوسلة) لا شـك أنك تقدر ما أقول ، أليس كذلك ياداني ؟

درو : (فى وقار) أجل . بالتأكيد ياسو (يربت على يدها) إلا أن الانتظار صعب (يتنهد) .

سـو : أعرف ذلك . إنه صعب علىّ أيضاً .

درو : ظننت أنى ربما استطعت أن أتقدم بالمساعدة . ولـكن

هذا أمر لا يمكن لأحد غير أسرتك أن يتدخل فيه . (تهز سو رأسها ، يستمر درو فى الكلام - فى كآبة بعد فترة صمت) ماذا حدث لنات ؟ . كان ينبغى أن يكون لديه من الشجاعة ما يستطيع به أن يواجه والده .

سو : (ببطء) سترى أن نات تغير أيضاً يادانى — تغيراً فظيعاً . انتقل إليه المرض — أياً كان نوعه — أنت تعلم كم كان شغوفا بعمله الذى بقى فيه منذ أن عين فى قسم التصميم هناك فى مبنى السفن .

درو : نعم .

سو : (بتأكيد) تغير كل ذلك . إنه يكره عمله الآن ، أو يقول ذلك على الأقل . وعندما يعود إلى البيت ، يقضى كل وقته وهو يحوم حول حوض السفن هنا ، يتحدث إلى هؤلاء الرجال الثلاثة الأشرار . وماذا تظنه أخبرنى منذ أيام قليلة مضت ، إنه عزم على أن يتخلى عن وظيفته ويقوم بهذه الرحلة على السفينة . بل إنه طلب منى أن أرجو أبى السماح له بالذهاب .

درو : وهل يوافق أبوك على ذلك ؟

سو : لا ، بالطبع ! هل يترك وظيفة طيبة بذل مجهودا كبيرا حتى حصل عليها من أجل هذه الفكرة المجنونة ! إن أسوأ ما فى الموضوع ، أنه جعل أمى فى غاية القلق — كأن ما لديها من

مضايقات لا يكفى . إنها فى شدة الفزع خشية أن يذهب — وأن يسمح له أبوه بالإبحار فى آخر لحظة .

درو : ربما استطعت أن أساعد ما دام الأمر كذلك . يمكننى أن أتحدث إلى نات .

سو : (تهز رأسها) إنه ليس نات الذى تعرفه ياداني .

درو : (محاولا التسرية عنها) ماهذا ياسو ؟ أظن أنك تتخيلين أشياء لا حقيقة لها . (عندما ينتهى من كلامه ، يفتح الباب فى المؤخرة ويظهر نات — شاب طويل غير متماسك البناء فى الثامنة عشرة ، يشبه والده شبها كبيرا . فوجهه عريض بارز العظام — مثل والده ، وله عينان سوداوان عميقتان وأنف معقوف وفم واسع رقيق الشفتين . ومع هذا فلا يبدوا عليه أنه يتمتع بما يتمتع به والده من صحة بدنية وقوة عظيمة . لقد قضى حياته داخل المنزل فعضلاته لم تنم نموا كافيا ، وبشرته شاحبة وكتفاه منحنيان . شعره الغزير أسود فاحم . صوته يذكرنا بصوت والده الأجوف النفاذ . يرتدى قميصا من الصوف الرمادى ، وسروالا من المخمل . ينادى عليه درو فى ابتهاج) أهلا . نات ! تحدث عن الشيطان ، يظهر لك ! لقد كنا نتحدث عنك منذ لحظة واحدة . (يتجه إلى نات ، وقد مد يده) .

نات : (يتجه إليهما ، يقابل درو ، ويصافحه فى سرور ظاهر)

أهلا دانى ! ما أشد سرورى لرؤيتك . (ينتابه تحول مفاجئ ، وينتقل بنظره فى ريبة بين درو وأخته) كنتما تتحدثان عنى ؟ عن أى شئ !

سو : (بسرعة ـ فى نظرة تحذير لدرو) عن عملك فى مبنى السفن

نات : (فى اشمئزاز) أوه ، عن هـذا (فى انفعال لا مبرر له) بربك يا سو ، دعينى وعملى . ألا يـكفى أنى أعيش مع عملى اللعين طوال اليوم حتى تذكرينى به بمجرد دخولى البيت ؟ إنى أريد أن أنساه ـ أن أهرب .

درو : تذهب إلى البحر . أليس كذلك ؟

نات : (فى ريبة) ـ ربما . لماذا ؟ ماذا تقصد ؟ (يستدير إلى أخته ويقول بغضب) ماذا كنت تقولين لدانى ؟

سو : كنت أتحدث عن السفينة ـ وقلت إنها ستبحر غدا .

نات : (مأخوذا) غدا ؟ (ينتابه اضطراب مفاجئ عصبى) لا يمكن ذلك . كيف عرفت ؟ من أخبرك ؟

سو : أمى . أخبرها أبى .

نات : إذن كانت تتحدث إليه ـ تحرضه ـ ولا شك ـ ألا يأخذنى معه (بغضب) أوه ، كم أتمنى أن تهتم أمى بشئونها وحدها .

سو : نات !

نات : حسن ، ياسو ، ما رأيك فى ذلك ؟ إننى لم أعد غلاماً

صغيرا . إننى أعرف ما أريد أن أفعل . أريد أن أذهب معهم . أرغب فى الذهاب الآن كما لم أرغب فى أى شئ من قبل فى حياتى. إنه - إنه لا يريدنى،فهو خائف أن ــ ولكنى أعتقد أنى أستطيع أن أجبره على ــ (ينظر إلى وجه درو الذى بدت عليه الدهشة ويتوقف فجأة - يقول بضجر) أين أبى ؟

سو : على ظهر السفينة .

نات : (فى خيبة أمل) إذن فلا فائدة من محاولة مقابلته الآن .

درو : من العجيب أن أسمعك تتحدث عن الذهاب إلى البحر . لقد تعودت دائما أن . .

نات : هذا شئ مختلف .

درو : تريد مشاهدة الجزر ، أليس كذلك ؟

نات : (فى ريبة) ربما . ولم لا ؟

درو : أية مجموعة من الجزر سيقصدها والدك أولا ؟

نات : (وقد ازداد شكه) عليك أن تسأله هو . لماذا تريد أن تعرف (فجأة) يحسن أن تصعدى إلى البيت يا سو - لإعداد طعام العشاء . لابد أن دانى جائع . (يدير ظهره لهما . يتبادلان نظرات ذات مغزى) .

سو : (متنهدة) لقد تأخر بنا الوقت يادانى . يمكنك أن تقابل أبى فيما بعد . (يتجهان إلى الباب فى المؤخرة) ألن تأتى يانات ؟

نات : لا، سأنتظر . (فى صبر نا فد) اسبقانى. سأصعد بعد قليل.

درو : إذن نراك فيما بعد يانات .

نات : أجل . (يخرجان من المؤخرة . يسير نات جيئة وذهابا فى حالة من الاضطراب الشديد . يفتح الباب إلى الشمال ويدخل بارتليت. يقف الأب والابن ينظر كل منهما إلى الآخر لحظة . يخطو نات خطوة إلى الخلف كما لو كان خائفا ، ثم يعتدل فى تحد) .

بارتليت : (ببطء) أهذه هى الطريقة التى تنفذ بها أوامرى يا غلام؟ لقد أخبرتك أكثر من مرة ألا تتسلل وتتجسس حول هذا الرصيف.

نات : لست أتسلل أو أتجسس. إنى أريد أن أتحدث إليك يا أبى.

بارتليت . (يجلس إلى المائدة) حسن ، ها أنذا .

نات : قالت سو إن السفينة ستبحر غدا .

بارتليت : نعم !

نات : (فى عزم) أريد أن أذهب معك يا أبى .

بارتليت : (فى اختصار كما لو كان يحسم الموضوع) لا يمكنك ذلك . لقد قلت لك هذا من قبل . لتكن هذه هى المرة الأخيرة التى تطلب منى هذا الطلب .

نات : ولكن لماذا ؟ لماذا لا يمكن أن أذهب ؟

بارتليت : لديك عملك الذى تقوم به ـ وهو عمل طيب . اهتم به ودعنى لعملى .

نات : ولكنك كنت تريدني دائماً أن أقوم برحلات لأتعلم صيد الحيتان معك .

بارتليت : هذا شيء مختلف .

نات : (فى حنق وثورة) أجل ، هذا شيء مختلف ! أتظن أنى لا أعرف هذا ؟ أتعتقد أنك تستطيع أن تخفى ذلك عنى ؟ إنه شيء مختلف ، ولهذا السبب أريد أن أذهب .

بارتليت : قلت لا يمكنك .

نات : (متوسلا) ولم لا يا أبى ؟ إنى استطيع أن أعمل كما يعمل أى رجل على ظهر السفينة ، أو فى أى مكان آخر .

بارتليت : (فى خشونة) إن مكانك هنا ، مع سو وأمك ، وستبقى هنا .

نات : (فى غضب) ليس هذا سببا وجيها . ولكنى أعرف السبب الحقيقى . إنك خائف من أن ـ

بارتليت : (فى شيء من الضيق ـ مفتعلا ضحكة تدل على الاحتقار) خائف ؟ مم أخاف ؟ هل عهدت فىّ الخوف يوما ؟

نات : خائف مما قد اكتشفه إذا ذهبت معك .

بارتليت : (فى نفس الاحتقار المفتعل المصحوب بالقلق) وماذا تظنك ستكتشف يا نات ؟

نات : أولا ، إنك لست ذاهبا فى مغامرة تجارية . لست مغفلا !

هذه قصة تصلح لخداع الجيران والفتيات من أمثال سو ـ ولـكنى أكثر من هذا علماً .

بارتليت : وماذا تعلم ؟

نات : إنك ذاهب لشيء آخر .

بارتليت : أى شيء ؟

نات : لا أعرف ـ على وجه التحقيق شيء مافى تلك الجزيرة.

بارتليت : (ينهض وقد انفجر فى قهقهة مفتعلة) يالك من غلام أحمق . لاشك أنك أخذت هذه الفكرة من كتاب سخيف قرأته وكنت أظن أنك بلغت مبلغ الرجال ! (يزداد حدة فى احتقاره المفتعل) لم يبق إلا أن تقولى لى إنى راحل وراء كنز مدفون ـ دفن القراصنة ذهبا فى تلك الجزيرة ـ وضعوه كله فى صندوق ـ وهناك خريطة لترشدنى وعليها صليب مرسوم يشير إلى المكان الذى خبيء فيه الذهب! ثم أن هناك أشباحا تحرسه ـ أليس كذلك؟ أرواح رجال قتلوا ؟ كل هـــذا تجده دائماً فى الكتب . (يضحك باحتقار) .

نات : (يحملق فيه بعينين مفتونتـين) لا . لست أومن بهذه الأشياء الأخيرة . إنها أشياء غير معقولة . ولـكنى أعتقد أنك ربما كنت قد عثرت على . . .

بارتليت : (يضحك ثانية) كنز ؟ ذهب ؟ (فى حدة مفتعلة)

نات، إنى خجل من أجلك . لقد نلت قسطا من التعليم ، وأصبحت تقوم بأعمال الرجال ، وتقوم بها بإتقان ، وكنت آمل أن تأخذ مكانى هنا ، عندما أغيب ، وأن تعتنى بأمك وسو . ولكن اتضح أنك مجرد غلام مازال يرتدى السراويل القصيرة ، ويحلم بذهب القراصنة الذى لايوجد إلا فى الكتب .

نات : ولكن .. ولكنك المسؤول عن هذا . فعندما عدت لم يكن لك من عمل إلا الحديث فى غموض : كيف سنكون جميعا أغنياء عندما تعود السفينة .

بارتليت : (فى خشونة) وما علاقة ذلك بأحلامك السخيفة؟ إنى قصدت الثراء عن طريق التجارة .

نات : إذن فلم كل هذا الحديث الغامض ؟ هناك شىء تخفيه . لايمكنك أن تنكر ذلك . فإنى أشعر به .

بارتليت : (يلمح لابنه ـ ويقول بنظرة ماكرة) لنفرض أنى استطعت فى إحدى الموانى التجارية الشرقية أن أعثر على عمل فيه فرصة لإثراء رجل لايخشى القانون ويستطيع أن يبقى فمـــه مغلقا !

نات : (فى خيبة أمل) هل تقصد تجارة غير مشروعة ؟

بارتليت : أقصد ما أقصد يانات ـ ولست من الحماقة بحيث

أخبر من لا يزال مثلك غلاما رغم سنه ،أو أخبر إمرأتين، أو أى إنسان فى العالم بما أقصده فى أمر كهذا .

نات : (يلتفت ناحية الباب فى المؤخرة ـ يقول باشمئزاز) إذا كان الأمر مجرد هذا ، فأنا لا أريد أن أسمعه . (يمشى ناحية الباب ـ يقف ويلتفت مرة ثانية إلى والده) لا،لاأصدق ماتقول ـ مثلك لايفعل هذا . إنك لاتقول الحقيقة يا أبى .

بارتليت : (ينهض فى حدة وحشية تنطوى على توسل ملح) لقد أنصت إلى حديثك الأحمق ما فيه الكفاية . هيا اصعد إلى البيت حيث مكانك . لن أسمح بعد ذلك بتدخلك فى شئونى . كنت صبوراً معك ، ولكن لكل صبر نهاية ! استمع لما أقول ، إذا كنت تريد لنفسك الخير (فى شيء من الفخر الرزين) سأقف وحدى فى هذا العمل وسأتمه بمفردى ولو ذهبت إلى الجحيم بسببه. هل تسمعنى ؟

نات : (منزعجا من غضب والده ـ يقول فى خضوع) أجل ، يا أبى .

بارتليت : اذكر ذلك جيداً . (بعد فترة صمت . عندما يتلكأ نات) لا بد أنهم ينتظرونك الآن فى المنزل .

نات : وهو كذلك . سأذهب (يلتفت إلى مدخل الباب إلى اليسار ، ولكن قبل أن يصل إليه ، يفتح الباب بعنف وتدخل مسز

بارتليت ، يقف نات فى دهشة) أمى !

مسز بارتليت : (بابتسامة مفتعلة) انصرف أنت يا نات . كل شيء على ما يرام . أريد أن أتحدث إلى أبيك .

بارتليت : (فى اضطراب) يحسن أن تصعدى مع نات ياسارة . فلدى عمل أقوم به .

مسز بارتليت (تثبت عينيها على زوجها) أريد أن أتحدث إليك بمفردك يا إيزايا .

بارتليت : (بخشونة — كما لو كان يقبل تحدياً) كما تريدين إذن .

مسز بارتليت : (تصرف نات بابتسامة باهتة) اخبر سو أننى سأحضر فى الحال ، يا نات .

نات : (يتردد لحظه ، ينتقل بنظره بينهما فى اضطراب) وهو كذلك يا أمى (يخرج) .

بارتليت : (ينتظر حتى يبعد نات عن مجال السمع) ألا تجلسين ياسارة ؟ (تتقدم وتجلس إلى جانب المائدة . يجلس إلى الجانب الآخر)

مسز بارتليت : (ترتعد عند ما ترى الزجاجة على المائدة) هل شرب هذا السم يجعلك تنسى يا إيزايا ؟

بارتليت : (بوقاحة) ليس هناك ما أنساه — لا شيء مما فى ذهنك على الأقل . وكل ما أريد أن أنساه هو إرادتك العنيدة (ينظر كل

منهما إلى الآخر عبر المائدة . فترة صمت ــ وأخيراً لا يستطيع أن يحتمل نظرتها التي تنم عن الاتهام . ينظر بعيدا ، ينهض ، يتمشى ، ثم يجلس وقد بدا في وجهه التصميم ــ يقول في ابتسامه خشنة ــ حسن ، هانحن ، ياسارة ــ وحيدان لأول مرة منذ . . .

مسز بارتليت : (بسرعة) منذ تلك الليلة يا إيزايا :

بارتليت : (كالو لم يسمع) منذ أن عدت إليك تقريبا ، هل حدث أن فكرت كيف أنه من العجيب أن يصل بنا الحال إلى ذلك؟ لم يدر في خاطرى أبدا أن يجيء يوم تخبرينني فيه على النوم بعيدا عنك ، وحيدا في كوخ كالكلب الأجرب .

مسز بارتليت : (في رقة) إنني لم أبعدك يا إيزايا . لقد فعلت ذلك بمحض إرادتك .

بارتليت : بسبب لسانك اللاذع ، يا امرأة ــ وفكرتك الخاطئة عني .

مسز بارتليت : (تهز رأسها ، تقول ببطء) إنك لم تهرب مني أنا يا إيزايا ــ لقد هربت من نفسك أنت ــ من الضمير الذي وضعه الله فيك ، ثم تظن أنك تستطيع أن تخدع الناس بالأكاذيب .

بارتليت : (يهب واقفا ــ يقول بغضب) أكاذيب !

مسز بارتليت : إنها الحقيقة يا إيزايا ، إنك فقط أضعف من أن تواجهها .

بارتليت : (متظاهرا بالتحدى والشجاعة) ستجدين أنى شجاع بما يكفى لأن أواجه كل شيء ، سواء أكان صادقاً أم كاذباً . (ثم محتجاً) ما الذى يدعوك إلى أن تظنى سوءا بي يا سارة ؟ من الجنون أن تحاسبيني على أشياء قلتها فى نومى — على أحلام مزعجة لعينة جعلتنى أهذى وقد عدت تواً إلى بيتى وما زالت رأسى مصدعة مما قاسيت فى تلك الجزيرة من الشمس والظمأ . هل من الصواب يا امرأة أن تلومينى على أحلام محمومة ؟

مسز بارتليت : لقد اعترفت بأن بقية ما قلته صحيح — عن الذهب الذى عثرت عليه ودفنته هناك .

بارتليت : (فى انتظار مفاجئ وحشى) أجل — هذا صحيح كالإنجيل ياسارة . عندما أعود بالسفينة ، سترين بنفسك . هناك صندوق كبير مملوء به . ذهب أصفر وثقيل، مطعم بالجواهر، والزمرد والياقوت الذى يساوى أكثر من الذهب نفسه . سنكون أثرياء ياسارة — كما كنت أحلم دائما ! ستكون لك ملابس حريرية وعربات خاصة بك . كل ما تشتهيه النساء فى العالم سيكون لك وكل ما يريده نات وسو أيضا .

مسز بارتليت : (مرتعدة) هل تحاول أن ترشونى ، يا إيزايا ـ بالكنز الذى لعنه الله ؟

بارتليت : (كأنه لم يسمع) هل تذكرين كيف كنت أتحدث إليك منذ مدة طويلة عن العثور على العنبر ؟ أكوام منه فى رحلة واحدة تجعلنا أثرياء . كنت تهتمين بذلك وقتئذ ، وفى كل رحلة قمت بها كنت تأملين أن أعثر عليه .

مسز بارتليت : كان ذلك خطيئة الجشع التى وقعت فيها والتى ألقى جزائى عليها الآن .

بارتليت : (مرة ثانية كأنه لم يسمع) والآن عندما جاء إلينا الذهب أخيرا ـ بكميات لم أكن أحلم بها قط ـ تبعديننى عنك وتقولين إنه ملعون .

مسز بارتليت : (فى عناد) ملعون ، بدم الرجل والغلام اللذين قتلتهما !

بارتليت : (فى ثورة جامحة) أنت تكذبين يا امرأة ! لم أتفوه بكلمة واحدة !

مسز بارتليت : هذا ما أخذت تكرره فى نومك ، ليلة بعد ليلة فى الأسبوع الأول من عودتك ، إلى أن عرفت الحقيقة ولم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك... أخذت تكرر قولك «لم أنطق بكلمة» ، كما لو كانت روحك تحاكم يوم الحساب وكنت تقول : «ذلك الطباخ ، لم يكن يصدق أنه ذهب» ، ثم تلعنه .

بارتليت : (فى وحشية) كان يكذب ، ذلك اللص ! يكذب حتى يستطيع هو والغلام أن يسرقا الذهب . لقد جعلته يعترف بأنه كان يكذب . ماذا يهم إذا كان كل ماسمعته صحيحا ؟ أليس لنا الحق فى أن نتخلص من لصين ؟ وكنا جميعاً سنجن من الظمأ والشمس . هل تستطيعين محاسبة مجانين على أشياء يفعلونها ؟

مسز بارتليت : لم تكن على هذه الدرجة من الجنون ، فأنت تتذكر ماحدث .

بارتليت : إننى أتذكر أنى لم أنطق بكلمة واحدة ياسارة - والله على ما أقول شهيد !

مسز بارتليت : ولكنك كنت تستطيع أن تمنع ذلك بكلمة منك . ألم تكن تستطيع ذلك يا إيزايا ؟ إن ذلك المتوحش الوثنى يعيش فى خوف منك ولم يكن ليفعل ذلك لو أنك . . .

بارتليت : (فى حزن) هذا حديث امرأة . هناك ثلاثة منا يستطيعون أن يقسموا فى أية محكمة بأنى لم أنطق بكلمة .

مسز بارتليت : ماهى المحاكم ؟ هل يمكن أن تقسم بذلك أمام نفسك ؟ لا يمكنك ، وهذا مايقودك إلى الجنون يا إيزايا . أوه ، إنى ما كنت أصدق ذلك عنك مهما قلت فى نومك لو لم أشاهد نظراتك وتصرفاتك ، وأنت متيقظ . لقد راقبتك فى الأسبوع

الأول يا إيزايا إلى أن لزمت الفراش من الخوف . كان لابد أن أراقبك ، كنت غريباً جداً وكنت تخيفني . فى بادىء الأمر كنت أكرر القول بأن الأمر لا يعدو أنك لم تشف بعد من أثر الظمأ والشمس . ولكن ، فجأة ألهمني الله ، فرأيت الخطيئة مكتوبة على وجهك ، فى الطريقة الغريبة التى كنت تتصرف بها ، وما كان يبدو فى عينيك من شعور بالذنب (تحملق فى عينيه) إننى أراه الآن ، أراه دائماً عندما تنظر إلىّ . (تغطى وجهها بيدها وتجهش بالبكاء) .

بارتليت : (وقد بدا وجهه مرهقا حزينا ـ يقول بيأس ، كما لو كان قد هزم فلا يستطيع أن يستمر فى معارضتها ـ فى همس أجش) ماذا تريدينى أن أفعل ياسارة ؟

مسز بارتليت : (تبعد يديها عن وجهها ـ تشع عيناها بدفء الإيمان) اعترف بخطيئتك ياإيزايا ! اعترف أمام الله والناس ، وفز بالسكينة ونل عقابك ، إنس ذلك الذهب الملعون والرحلة التى ستقوم بها ، وفز بالسكينة ، (فى عاطفة) إننى أطلب منك أن تفعل ذلك من أجلى ومن أجل الأطفال ، ومن أجلك أنت قبل الجميع ! سأجثو على ركبتى يا إيزايا ، وأتوسل إليك أن تفعل ذلك ، كما توسلت إلى الله أن يغمرك برحمته ! اعترف واغسل روحك من لطخة الدم التى عليها . إننى أطلب منك ذلك يا إيزايا ـ ويطلب الله منك أن تعود إلى رحابه .

بارتليت : (يتعذب وجهه بالصراع الداخلى ـ كما لو كانت الكلمة تخنقه) اعترف وادع شخصاً آخر يسرق الذهب ؟! (عندما تخطر له هذه الفكرة يزول تأثيرها عليه على الفور وتعود تسيطر عليه روحه الشريرة فى الحال فتملؤه بقوة التمرد . يضحك بخشونة) إنك تجعلين منى امرأة عجوزاً . هل تفعلين ذلك بى ياسارة ؟ ـ امرأة عجوزا تذهب إلى الكنيسة كل أحد وتقابل النساء وتبكى وهى تطلب من الله الغفران ؟ غفران على ماذا ؟ لأن اثنين من اللصوص المتسللين ماتا وانتهى أمرهما ؟ إننى لم أنطق بكلمة ، كما قلت لك ولكنى لو كنت فعلت ، ما كنت أندم على فعلتى . مافعلته قد فعلته ، ولم يسبق أن طلبت الغفران من الله أو من الناس على شيء ينبغى أن أفعله ، ولن أطلب الغفران أبداً ـ أعترف ، وأتنازل عن الذهب الذى حلمت به طوال حياتى والذى عثرت عليه أخيرا ؟ ! بالله عليك ، لابد أنك تظنيننى مجنونا ؟ .

مسز بارتليت : (تتضاءل فى مقعدها بعد أن تدرك أنها خسرت المعركة ـ تقول فى ضعف) لقد ضعت ياإيزايا ـ ولن يتمكن أحد من أن يمنعك .

بارتليت : (فى انتصار) أجل ، لن يمنعنى أحد . سأسير فى طريقى وحدى . إننى مسرور لأنك فطنت إلى ذلك ياسارة .

مسز بارتليت : (تحاول بضعف أن تنهض على قدميها) سأعود إلى البيت .

بارتليت : ستبقين ياسارة . لقد أفضيت بما عندك ، وقد انصت إليك ، والآن سأفضى بما عندى وتنصتين أنت إلىّ .

(تتهالك مسز بارتليت فى مقعدها ثانية فى إعياء ـ يستمر بارتليت ببطء) ستبحر السفينة فى الفجر عندما يصل المد إلى أقصاه ، وإننى أسألك للمرة الثانية والأخيرة : هل تطلقين اسمك على السفينة قبل إقلاعها ؟

مسز بارتليت : (بحزم) كلا .

بارتليت : (مهددا) انتبهى ياسارة ، إلى ماتقولين ! إننى زوجك الذى أقسمت على إطاعته . إن لى الحق أن آمرك ، لا أن أطلب منك .

مسز بارتليت : لم يسبق لى أن رفضت القيام بشىء أراه صوابا ـ أما هذا العمل الشرير الخاطىء . .

بارتليت : إن عناد النساء هو الذى يجعلك ترفضين ـ لقد أطلقت اسمك على كل سفينة كنت قبطانها ، وقد كان ذلك يجلب لى الحظ بطريقة أو بأخرى ، بالرغم من أنه لم يكن الحظ الذى أريده . وستطلقين اسمك على هذه السفينة لتجلبي لى الحظ الذى كنت أبحث عنه دائماً .

مسز بارتليت : (فى تصميم) لن أفعل ، ياإيزايا .

بارتليت : ستفعلين ياسارة ، لأننى سأجبرك عليه . إنك تدفعيننى إلى ذلك .

مسز بارتليت : (تحاول مرة أخرى أن تنهض) أهذه هى الطريقة التى تتحدث بها إلىّ وأنا التى كنت لك زوجة طيبة لأكثر من ثلاثين سنة ؟ .

بارتليت : (آمراً) انظرى ! (مهدداً) إذا لم تطلقى اسمك عليها قبل أن تبحر فسآخذ نات معى . (تتهالك مسز بارتليت ثانية على مقعدها مشدوهة) إنه يريد أن يذهب كما تعلمين . وقد طلب منى ذلك مئات المرات . إنه يشك ـ فى أمر الذهب ـ ولكنه لا يعلم علم اليقين ـ ولكنى سأخبره بحقيقة الأمر ، وسيأتى معى ، مالم . . . . . .

مسز بارتليت : (تنظر إليه بعينين يطل منهما الرعب ـ متوسلة) لن تفعل ذلك ياإيزايا ؟ لن تأخذ نات بعيداً عنى وتورطه فى الخطيئة ؟ إنى أعرف أنه سيذهب إذا سمحت له رغماً عنى . (بطريقة تثير الشفقة) إنك تريدأن تخيفنى فقط ، ولا يمكن أن تكون شريراً قاسياً إلى هذا الحد .

بارتليت : سأفعل ذلك ، أقسم لك ، مالم . .

مسز بارتليت : (فى غضب هستيرى) إذن سأخبره بنفسى ـ

عن جريمتى القتل اللذين ارتكبتهما ، و . .

بارتليت : (فى عزم) سأقول له إن ذلك ارتكب فى دفاع عادل لمنعهما من سرقة الذهب ! سأقول له إن ما تقولينه مجرد تخيلات امرأة . وسيصدقنى ، ولن يصدقك أنت ، إنه ابن أبيه ، وقد عزم على الرحيل . أنت تعرفين ذلك ياسارة . (تقع على مقعدها فى يأس وهى تحملق فيه بعينين تفيضان بالرعب . ينظر إليها ثم يقول بعد فترة صمت) إذن ستطلقين اسم « سارة الن على السفينة فى الصباح قبل أن تقلع ، أليس كذلك ياسارة ؟

مسز بارتليت : (فى لهجة ملؤها الرعب) نعم ـ إذا كان ذلك ضروريا لإنقاذ نات ـ وليسامحنى الله عندما يرى عذرى ـ ولكن أنت ـ أوه ، يا إيزايا ! (ترتعد ثم تنهار ، وهى تنتحب) .

مسز بارتليت : (بعد فترة صمت ، يستدير إليها فى تواضع كما لو كان يطلب منها الصفح) لا يجب أن تسيىء الظن بى لأنى أريد اسمك إننى أريد ذلك لأنه اسم امرأة طيبة وأعرف أنه يجلب الحظ لرحلتنا . من الصعب على نفسى أن أقلع بدونه ـ والأمور على هذا النحو .

مسز بارتليت : (تنهض ـ فى حالة من الخوف المحموم منه)
سأعود إلى البيت .

بارتليت : (يذهب إليها) سأساعدك حتى قمة التل ياسارة .

مسز بارتليت : (تبتعد عنه فى رعب) لا . لا تمسسنى . لا تمسسنى . (تهرول خارجة من الباب فى المؤخرة ، وهى تنظر إلى الوراء فى فزع من فوق كتفها لترى إن كان يتبعها) .

(تنزل الستار)

الفصل الثالث

(المنظر)

فجر اليوم التالى — خارج بيت بارتليت . يشاهد المدخل الرئيسى مواجها الميناء فى الجهة اليسرى . على كل جانب من جوانب الباب نافذتان كبيرتان ، مصاريعهما الخشبية الثقيلة الخضراء محكمة الإغلاق . أمام الباب سقيفة صغيرة يرتفع سقفها على أربعة أعمـــدة بيضاء . ويوصل بين الأرض والسقيفه بثلاث سلمات ويقود إلى هذه السلمات الثلاث ممران يخترقان رقعاً من حشائش متناثرة فى غـير نظام ، أحدهما يمتد حول ركن البيت فى المؤخرة والآخر يسـير مستقيما إلى اليسار، إلى الشاطىء الصخرى حيث يوجد طوار حديدى صغير بارز يحده سور من القضبان . ويمكن رؤية الجزء الأعلى من سلم من الصلب ، يوصل بين جانب الصخور فى أسفل الشاطىء وبين الطوار . وتمتد حافة الصخور من مقدمة الجانب الأيسر منحرفة يمينا إلى منتصف المسرح .

يشاهد هورن وكيتس وجيمى كاناكا فى ضوء الفجر الباهت . يقف هورن على الطوار الصلب ينظر إلى الشاطىء أسفله بينما يستلق كيتس بالقرب منه . كما يشاهد جيمى يجلس القرفصاء وعيناه تحملقان تجاه البحر وكأنه يحاول أن يخترق الفضاء إلى الجزر الدافئة حيث مسقط رأسه . يرتدى كيتس ملابس من الدمور . ويرتدى جيمى سروالا من الدمور وقميصا من الصوف الأسود .

أما هورن فيرتدى الملابس التى ظهر بها فى الفصل الثانى .

كيتس: (فى بلادة وعدم اكتراث) ألم تنته من هذا الأمر بعد ؟

هورن : (فى سخط) كلا . عليها اللعنة ! إنى أستطيع أن أراهم جميعاً على المرفأ عند مقدمة السفينة .

كيتس : (بعد فترة سكون) أليس من العجيب أن يأمرنا بأن نصعد إلى هنا وننتظر حتى ينتهى كل شىء .

هورن : لم أعد أعجب لعمل يأتيه ، ألا تعلم يا كيتس أنه لم يشف من جنونه ؟

كيتس : (فى غباء) أنا لم ألاحظ عليه أى تحول .

هورن : (فى احتقار) لقد سألنى هل رأيتهما فى أثناء نومى — يقصد الطباخ وخادم التريتون ، وقال إنه رآهما مرارا .

كيتس : (يسارع بالاحتجاج فى قلق وكأنه متهم) لقد كانا معنا فى القارب قبل أن نجد الجزيرة . هذا كل ما أذكره عنهما . ثم فقدت عقلى بعد ذلك .

هورن : (ينظر إليه فى احتقار) لن أتهمك بالكذب يا كيتس . ولكن . . اللعنة على أمثالك من الرجال ! إن الجنون ينسيك الذهب !

كيتس : (تلمع عيناه) هـذا شىء لا ينساه أحد ، حتى ولو كان مجنونا .

هورن : (فى ابتسامة جشعة) نعم ، إنه الشىء الوحيد الذى أراه فى أثناء نومى . (يسمع صوت صيحات خافتة تتناهى من ناحية

الشاطىء فى أسفل . بجفل هورن ويلتفت لينظر إلى أسفل ثانية) لابد أنهم قد انتهوا (يذهب كيتس وجيمى إلى الحافة لينظرا إلى أسفل)

جيمى : (فجأة — متحمساً فى حب استطلاع صبيانى) ترى هل لتعويذة زوجة القبطان أثر كبير يجعل السفينة تبحر بسرعة ويجلب لها ريحا قوية؟

هورن : (فى احتقار) أجل ، على حد فهمك ، إنها تلقى عليها تعويذة . ابق هنا يا جيمى ونبهنا عند ما يأتى العجوز (يبقى جيمى ناظراً إلى أسفل . هورن يشير إلى كيتس ليتبعه ، يسيران إلى مقدمة المسرح ثم يقول فى صوت منخفض ، متأففا) هل سمعت ماقاله ذلك الزنجى الأحمق الملعون ؟

كيتس : (فى تذمر) بأى حق يعطيه العجوز نصيباً كاملا ؟ إن قطعة واحدة من الذهب تكفى زنجيا مثله .

هورن : (فى دهاء) هناك طريقة للتخلص منه إذا استدعى الأمر ، أنت تذكر أنه طعن الاثنين .

كيتس : نعم .

هورن : وكلانا يستطيع أن يقسم على ذلك .

كيتس : نعم .

هورن : (بعد نظرة فاحصة فى عينى رفيقه الجشعتين — يقول بطريقة لها مغزاها) إننا رجلان عاقلان يا كيتس — والآخران اللذان سيقتسمان معنا الذهب ، أحدهما مجنون والآخر زنجى . لقد

أرانى القبطان مكان نسخة أخرى من خريطة الجزيرة احتفظ بها وأوصد عليها قمرته ، وقال لى إن علىّ أن أعود بالذهب إلى زوجته إن أصابه مكروه (يضحك فى خشونة) إنه يخدعنى ! ذلك الأحمق ! سأكون صريحا معك يا كيتس . لو استطعت أن أبحر وأعثر على الجزيرة بنفسى لما انتظرت هذا الرجل المجنون ليأخذنى إلى هناك . لا ، علىّ اللعنة لو انتظرت ! أنا وأنت يمكن أن نغامر بهذا ، بطريقة أو بأخرى .

كيتس : (فى جشع) نحن الاثنان ؟ - نقسمه نصفين متساويين ! (يمد رأسه محذرا) ولكنه رجل صلب يصعب التغلب عليه .

هورن : (فى تصميم) وأنا رجل صلب أيضا .

جيمى : (يلتفت إليهما) القبطان ، قادم . (يفترق هورن وكيتس بسرعة . يشاهد بارتليت وهو يصعد السلم إلى الطوار . يتنفس فى صعوبة ، ولكن وجهه يعبر عن ابتهاج بالنصر) .

بارتليت : (يلوح بذراعيه) هيا انزلا واصعدا إلى السفينة . لقد أصبح لها اسم الآن - اسم سيجلب لنا الحظ . سنبحر مع هذا المد .

هورن : سمعاً - سمعاً ياسيدى .

بارتليت : علىّ أن أنتظر هنا حتى يصعدوا إلى الممر . وسأكون على ظهر السفينة بعد قليل . عليكما أن تعداها للإبحار عندئذ .

هورن : سمعا ، سمعا ياسيدى (يختفى هورن وكيتس أسفل السلم .

يتباطأ جيمى و ينظر جانبا إلى قبطانه) .

بارتليت : (يلحظه فيقول له فى خشونة) ماذا تنتظر ؟

جيمى : (فى طلاقة) زوجتك العجوز ياقبطان ، هل تلق تعويذة قوية ليهب كثير من الريح ؟ هل تصـــنع سحرا قوياً شريراً للسفينة يا قبطان ؟

بارتليت : (عابسا) ماهذا ، أيها الشيطان الأسمر ؟ (ثم يضحك فجأة فى خشونة) أجل ـ تعويذة قوية تجاب لنا الحظ (فى خشونة) اذهب إلى السفينة ، أيها الكلب ! لا تدعها تراك هنا معى . (يختفى جيمى بسرعة نازلا السلم . يبقى بارتليت على الحافه ينظر إليه . تسمع أصوات من الجهة اليمنى، ثم تدخل مسز بارتليت، وسو،ودرو ، ونات من اتجاه المنزل فى مؤخرة المسرح . تسير مسز بارتليت بين نات ودرو فى حالة انهيار تام حتى إنهما يكادان يحملانها . تتبعهما سو وقد وضعت منديلها على عينيها . يظل نات ناظرا إلى الأرض وملامح وجهه حزينة جامدة . يلقى درو نظرة غيظ وغضب على القبطان الذى ينظر إليهم فى عدم اكتراث ثم يلتفت ليتابع ما يجرى فوق السفينة فى أسفل .

بارتليت : (عند وصولهم إلى درج المنزل ـ مهتما بالعمل الذى يجرى فى أسفل ـ يستخدم يديه كمكبر للصوت ـ ويصيح فى صوت جهورى) هيا ـ اشتغل . . . تحرك . . . ياهورن !

سو : (محتجة) أبى !

بارتليت : (يدور فى مكانه . وعندما يواجه عينى ابنته يسيطر على

غضبه وصبره النافد ويتحدث فى لطف) ماذا تريدين ياسو ؟

سو : (تشير إلى أمها التى يعاونها نات ودرو عند الباب ـ تقول فى صوت مرتعش) ينبغى ألا تصرخ . إنها فى غاية المرض .

بارتليت : (فى كآبة ـ كأنه لم يفهم) مريضة ؟

سو : (تلتفت إلى الباب) انتظر . سأعود فى الحال . (تدخل المنزل . وبمجرد اختفائها يعود إلى بارتليت اضطرابه . يذرع المكان جيئة وذهابا فى ضجر وعصبية . يخرج نات من المنزل) .

نات : (فى لهجة مضطربة) يبدو أن أمى فى حالة سيئة . سأذهب لأستدعى الطبيب .

بارتليت : (كما لو كان يسمع ـ يلفت نظر نات إلى السفينة) لقد أعدت أشرعة تلك السفينة إعدادا جيدا . يابنى ستندفع إلى الأمام من أول نسمة . لقد كنت أعرف ما أصنع عندما اشتريتها .

نات : (يحملق إلى السفينة فى افتتان) كم من الوقت ستستغرق الرحلة ؟ .

بارتليت : (منشغل البال) كم من الوقت ؟ .

نات : (فى إيعاز) للوصول إلى الجزيرة .

بارتليت : ثلاثة أشهر على الأكثر ـ إذا حالفنى الحظ (فى ابتهاج) وسيحالفنى الحظ الآن !

نات : إذن قد تعود فى مدى ستة أشهر وتحضره معك ؟

بارتليت : نعم . . أحضر . . (يتوقف الحديث فجأة ــ ويلتفت إلى ابنه ويحدق فى عينيه ــ يقول فى غضب) أحضر ماذا ؟ أى حماقة صبيانية تتحدث عنها ؟

نات : (يتوسل فى عنف) أريد أن أذهب ، يا أبى ! لم تعد هناك أية فائدة من بقائى هنا . لا أستطيع أن أفكر فى أى شىء إلا فى . .

بارتليت : (فى حدة ليخفى قلقه) لقد حذرتك يافتى أن تكف عن التفكير فى هذا !

سو : (تظهر عند مدخل الباب ــ تقول فى حنق) نات ! ألم تذهب إلى الطبيب بعد ؟

نات : (يعلو وجهه الخجل) نسيت .

سو : نسيت !

نات : (يبدأ فى السير) سأذهب ياسو . (ينظر إلى والده من فوق كتفه) لن تبحر قبل أن أعود ياأبى؟ (لا يجيب بارتليت . يقف نات مترددا فى أسى) .

سو : نات ! بالله عليك (يهرول نات حول ناصية المنزل فى المؤخرة . تتقدم سو إلى والدها الذى يراقبها بنظرات غريبة فيها انكسار وفزع) .

بارتليت : حسن ، يا سو ؟

سو : (فى صوت مرتعش) أوه ! يا أبى ، كيف أمكنك أن تجرء أمى من سريرها لتدشن لك سفينتك القديمة — فى الوقت الذى كنت تعرف فيه مدى مرضها ؟

بارتليت : (يتجنب عينيها) إنه مجرد ضعف ، وستتغلب عليه عما قريب .

سو : أبى كيف يمكن أن تقول هذا — كما لو كان الأمر لا يعنيك (فى اتهام) إن تصرفاتك منذ عودتك إلى المنزل تكاد توحى إلى كل إنسان أنك تكرهها !

بارتليت : (منتفضا) لا ؟

سو : أوه ، يا أبى ، ماذا حدث بينكما ؟ ألا يمكننى أن أعيد الأمور إلى نصابها ؟

بارتليت : (مغمغما) لا شىء — لا يمكنك أن تساعدى بشىء — ولا أنا .

سو : ولكن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذه الحال . ألا ترى أن هذا يقتل أمى ؟

بارتليت : ستنسى أفكارها العنيدة عند ما أبحر بعيداً .

سو : ولكنك لن — لن تذهب الآن ، أليس كذلك ؟

بارتليت : ألم أقل إننى سأبحر فجر اليوم ؟

ســو : (تنظر إليه لحظة فى دهشة شديدة) ولـكنك لا يمكن أن تعنى ــ الآن فى الحال !

بارتليت : (يظل مشيحاً بوجهه) أجل ــ وإلا فاتنا هذا المد .

ســو : (تضع يديها على كتفيه وتحاول أن تنظر فى وجهه) أبي ! لا يمكن أنك تعنى هذا (يلازم وجهه تصميم أكيد . تسقط يداها فى ارتجاف) لا يمكن أن تـكون بهذه القسوة ! لقد اعتقدت بالطبع أنك ستؤجل . . (فى عنف) لقد أجلتها أليس كذلك يا أبي ؟ لقد أخبرت هؤلاء الرجال أنك لن تستطيع الإبحار عند ما رأيت سوء حال أمى . ألم تقل هذا عند ما رأيتها مغمى عليها فى المرفأ ؟

بارتليت : (فى حقد) قلت إننى سأبحر مع هذا المد !

ســو : أبي ! (ثم فى توسل) عندما يأتى الطبيب وتسمع ما يقول . . .

بارتليت : (فى خشونة) لن تعوقنى كلمته أو كلمة أى رجل آخر (فى شــدة) لقد ظلت السفينة معدة للسفر طوال الأسبوعين الماضيين . كنت انتظر بسبب عنادها (يشير تجاه المنزل) يكاد يأكلنى الغيظ ليل نهار . ثم أقسمت أن أبحر اليوم ياسو ، إن لدى شعوراً داخلياً بأنى إذا لم أبحر الآن فلن أبحر أبداً . نعم ، أشعر بذلك شعورا عميقاً (فى رهبة تدل على إيمانه بالخرافات) فى اللحظة التى دشنت فيها السفينة تماماً ، فى تلك اللحظة هبت نسمة قوية من

البر لتدفع بالسفينة إلى البحر — هذا دليل على حسن الحظ .

سو : (تثور فى حنق غاضب) أوه لا يمكنني أن أصدق أنك نفس الرجل الذى كان والدى !

بارتليت : سو !

سو : إنك تتحدث فى برود عن إبحارك فى رحلة طويلة بينما أمى فى الداخل تموت دون أن تعير أنت ذلك أدنى اهتمام! إنك لست الأب الذى كنت أحبه ـ لقد تحولت إلى إنسان آخر بغيض قاس إنى أكرهه — أكرهه ! (تنهار وهى تجهش بالبكاء فى هستيرية) .

بارتليت : (الذى ظل يستمع إليها وقد علا وجهه خوف مفاجئ وندم يعذبه) سو ، لاشك أنك لاتدرين ما تقولين .

سو : بل أدريه ! إنى أكره هؤلاء الأشرار الثلاثة الذين يجعلونك تتصرف هذا التصرف . إنى أكره السفينة ! أتمنى أن أراهم هم والسفينة فى قاع البحر !

بارتليت : (فى غضب جنونى ـ واضعا يده على فمها ليمنعها من الكلام) اخرسى يا بنت ! كيف تجرؤين أن . .

سو : (تتخلص منه ـ وتقول فى خوف) أبى !

بارتليت : (متحيرا . يتوسل إليها طالبا الصفح) سو ، آسف لما قلت . لم أكن أعنيه ، ولكنك أثرت غضبى ـ لا يمكن أن أسىء إليك من أجل ذهب العالم كله ولكن ألست تتحدثين لسو عن

أشياء لا يمكن معرفتها ؟

سو : أوه ، يا أبى أى نوع من الأشياء هذا الذى تخجل أن تصارحنا به ؟

بارتليت : ستعرفين كل شىء ـ أنت وأمك ونات ، أيضا عندما أعود من هذه الرحلة ! ستباركيننى عندئذ بدلا من أن تقفى فى وجهى (يتردد لحظة ـ ثم يقول فى كآبة) الآن فقط ، حتى ينتهى هذا الأمر ، يحسن أن تبتعدى عنه .

سو : (بتأثر) أريد أن أعرف شيئا عن هذا الأمر . إن ما أعرفه هو أنك لا يمكن أن تبحر الآن . أليس لك قلب على الإطلاق ؟ ألا ترى إلى أى حد ساءت حال أمى ؟

بارتليت : إن وجودى هنا هو السبب فى مرضها .

سو : لا . فقد نطقت باسمك منذ لحظات وكانت تلك هى الكلمة الوحيدة التى قالتها منذ أن دشنت السفينة .

بارتليت : (فى يأس) قلت لك ياسو إن علىَّ أن أبقى بعيداً عنها . لقد ظلت تطاردنى منذ عودتى ـ تطاردنى بلسانها العنيد حتى كادت تؤدى بى إلى الجنون . لقد كنت تهتمين بها فقط دون أن تهتمى بى . إننى لا أذهب من أجلى وحدى ولكن من أجلها هى أيضا ـ من أجلها ومن أجل نات (يعود فجأة إلى تصميمه السابق) قلت لك لقد صممت، وستعلمين فى النهاية أننى على صواب (يسمع

هورن ينادى نداء حادا من الشاطئ فى أسفل . يجفل بارتليت وتلمع عيناه) هل تسمعين ؟ ها هو ذا هورن ينادينى أن أذهب . إنهم على استعداد للإبحار ، سأذهب إلى السفينة (يهم بالسير تجاه السلم) .

سو : أبى ! أبعد كل ماقلته لك ـ تذهب دون أن تقول كلمة وداع لأمى ! (فى هستيرية) أوه ، ماذا أفعل ، ماذا أقول حتى أمنعك إنها لم تنطق بكلمة إلا ذلك النداء إليك ، إنها لاتكاد تتنفس ، ولولا عيناها لاعتقدت أنها ماتت ـ ولكن عينيها تبحثان عنك . إنها ستموت لو رحلت يا أبى .

بارتليت : لا !

سو : إن رحيلك يستوى تماما وجريمة قتلها الآن بيدك !

بارتليت : (يهتز ـ ويرفع يديه كما لو كان يريد وضعهما على أذنيه لكيلا يستمع لكلماتها ـ يقول فى خشونة) لا ـ أنت تكذبين !

درو : (يظهر عند مدخل الباب ـ يمتلئ وجهه بالحزن والغضب ـ يقول فى خشونة) قبطان بارتليت ! (ثم يخفض صوته عندما يرى سو) مسز بارتليت تطلب أن تراك قبل أن ترحل ياقبطان .

سو : أسمعت ؟ ألم أقل لك يا أبى ؟

بارتليت : (فى صراع مع نفسه ـ يقول فى بلادة) إنها تريد أن تطاردنى ثانية ـ هذا كل مافى الأمر .

سو : (تلاحظ أنه يضعف ـ فتمسك بيده فى استماتة) أبى ، تعال

معى . لن تطاردك . لاشىءمن هذا ـ تعال ! (يتبعها نحو الباب فى تردد وقد انحنت رأسه) .

بارتليت : (عندما يصل إلى درو يتوقف وينظر إلى وجهه الغاضب الذى يبدو عليه أنه يتهم بارتليت ويتمتم فى شيء من السخرية) . إذن فأنت أيضا ، ضدى ، ياداني ؟ .

درو : (لا يستطيع السيطرة على حنقه) أرنى رجلا ، رجلا بحق ، لا يقف ضدك ياسيدى ؟ .

سو : (فى جزع) دانى ! أبى !

بارتليت (فى غضب مفاجىء يرفع قبضته إلى الخلف مهددا . يحملق درو فى عينيه فى غير خوف ـ يبذل بارتليت جهدا فى السيطرة على نفسه ويترك يده تسقط إلى جانبه ـ يقول فى احتقار) هذا كلام كبير على غلام ، ياداني . سأنساه هذه المرة ـ من أجل سو . (يلتفت إليها) إننى ذاهب إليها لأرضيك ياسو ، ولكن إذا كنت تظنين أن أى كلام منها سيجعلنى أغير رأيى ـ فأنت مخطئة ـ سأبحر حسب خطتى رغما عن أنف الشيطان نفسه (يسير فى تصميم إلى داخل المنزل . تتبعه سو بعد أن تتبادل نظرة يائسة مع دانى) .

درو : (مخاطبا نفسه فى رعدة) إنه مجنون ، عليه اللعنة !
(يسير جيئة وذهابا . يظهر هورن على السلم من أسفل يتبعه كيتس)

هورن : (يتقدم ويخاطب درو) هل القبطان هنا ؟

درو : (فى اقتضاب) إنه فى المنزل ـ لايمكنك أن تتحدث إليه الآن .

هورن : إن السفينة على استعداد للإبحار . لقد ناديته من أسفل ولكن أظن أنه لم يسمعنى (وحين لايظفر من درو بأى تعليق ـ يقول فى قلق) إذا لم يسرع ، فسيفوتنا المد . ومعه أيضاً هذه الريح الطيبة التى تهب الآن .

درو : (ينظر إليه فى حنق) لاتعول على إبحاره اليوم . من المرجح أن يغير رأيه .

هورن : (فى غضب) يغير رأيه ثانية ، بعد أن انتظرنا وضيعنا من الوقت عدة أسابيع ! (يتحدث إلى كيتس فى صوت عال حتى يستطيع درو سماعه) هل تذكر ماقلته لك يا كيتس ؟ لقد وصل به الجنون إلى مداه .

درو : (فى حدة) ماهذا ؟

هورن : كنت أقول لكيتس إن عقل القبطان مختل (فى غضب) أتعرف رجلا عاقلا يمكن أن يتصرف تصرفه ؟

درو : (يتخلى عن حنقه) إن ماتقوله حق مع الأسف .

هورن : (مندهشا) إذن فقد لاحظت ذلك أنت أيضا ؟ (بعد فترة صمت) والآن أسألك بوصفك بحارا ، مارأيك إذا خرجت فى رحلة وكان قبطانك مجنونا ؟

(تخرج سو من الباب ، تتوقف وهى ترتعد فى تقزز عندما ترى البحارين، وتقف منصتة . الجميع لايلاحظون وجودها) .

درو : يبدو لى أن الرحلة كلها ستكون جنونا فى جنون (باهتمام مفاجىء كما لو كان قد واتته فكرة جديدة)، ولكنكما تعرفان كل شيء عن هذا الأمر . عن الخطط التى وضعها القبطان ـ عن هذه الرحلة ـ عن كل هذه الأشياء ، أليس كذلك ؟

هورن : (بجفاء) نعم ، مثله تماما ولكنى لن أبوح بشىء لأى إنسان .

درو : وأنا لا أريد أن أعرف . ولكن هل تعلمان عن هذا الأمر مايمكنكما من القيام بهذه الرحلة وحدكما وتحمل كل أعبائها إذا لم يستطع القبطان الذهاب ؟

هورن : (يتبادل نظرة سريعة مع كيتس ـ محاولا أن يخفى حماسه) نعم ، إنى أستطيع أن أقوم بأى عمل يقوم به أى رجل على وجه الأرض يمكنه أن يثق بى ـ فى هذا الشأن ـ وسأجلب له أموالا أكثر مما يحتمل أن يجلبها وهو على هذه الحال من الخبل (فى تجهم) ولكن المشكلة الآن : من يكون قبطانها إذا لم يذهب معنا ؟ .

درو : (فى خيبة أمل) وهل معلوماتك فى الملاحة لاتكفى للقيام بهذا العمل ؟ .

هورن : إننى لم أجربه من قبل (تمضى فترة صمت يبدو فيها

وكأنه يفكر فى شىء ما،ثم يقول فى فضول) لماذا تسألنى هذه الأسئلة؟ (فى إيماز وفى صمت يقرب من الهمس) لن نستطيع القيام بهذا العمل إلا إذا كان معنا ضابط مثلك على السفينة .

درو : (فى غضب) هه ؟ ماذا تعنى ؟

سو : (التى كانت تنصت فى اهتمام متزايد) دانى ! (تقترب منه . يهز هورن وكيتس رأسيهما فى احترام ويتراجعان نحو الرصيف — يرقب هورن ، سو ودرو ، بطرف عينيه) دانى ، لقد كنت أنصت لحديثكما ، ولكننى لم أفهمه . فيم كنتما تفكران ؟

درو : (فى انفعال) كنت أفكر — أنصتى ياسو — يبدو لى أن والدك قد فقد عقله . ولا بد من عمل شىء لإجباره على البقاء هنا . وحتى لو استبعدنا والدتك من الموضوع ، فإنه ليس فى حالة تسمح له بالخروج إلى عرض البحر ، كنت أفكر فى أن نرتب الأمر بطريقة ما ، حتى يتمكن هورن من أن يتولى أمر السفينة فى هذه الرحلة . . .

سو : ولكن والدك لن يرضخ لذلك ياداني .

درو : وأنا لم أفكر فى أنه سيرضخ . ولكن علينا ، أعنى عليك؛ أن تقررى — ثم تبقينه فى المنزل بأية طريقة — وعندما يخرج يكون الوقت قد فات وتكون السفينة قد أبحرت .

سو : (فى اضطراب — وإن كان يبدو أن هذه الخطة قد

استولت على تفكيرها) ولكنه لن يغفر ذلك مطلقاً . .

درو : عند ما يثوب إلى عقله سيفعل (فى حماس) مستحيل أن تدعيه يبحر . ومن المحتمل أن يقضى على نفسه وعلى السفينة معا فى هذه المغامرة — ثم . . . هناك أمك .

سو : لا . لا . لا يمكن أن ندعه يفعل ذلك (تلقى نظرة على هورن وكيتس) ولكنى لا أثق فى هذين الرجلين .

درو : ولا أنا ، ولكن من الأفضل أن تخاطر معهما بدلا من أن — (يتوقف فجأة عن الكلام — يهز كتفيه قائلا) . . لقد نسيت أن كليهما لا يستطيع أن يقود السفينة .

سو : ولكن ألم أسمعه يقول إنه إذا كان معهم ضابط على السفينة مثلك —

درو : نعم ، وأين تجدين ضابطا فى هذه اللحظة ؟

سو : (بطريقة لها مغزاها) ألم تخبرنى أنك حصلت أخيرا على شهادة قبطان .

درو : (ينظر إليها وقد أذهلته الدهشة) سو ! هل تعنين أن . . .

سو : (يضىء وجهها) أوه ، يا دانى ، إنك أهل لثقتنا . وسيثق فيك هو أيضاً ! أعرف أنه بعد أن يهدأ لن يهتم بالأمر كثيراً . أوه ، يادانى ، إن قلبى ليتمزق لرحيلك ، لبعدك بعد أن عدت لتوك . ولكنى لا أرى سبيلا آخر . وما كنت

لأطلب منك هذا لو لم تكن أمى فى هذه الحالة . وهو أيضا أوه ، يادانى، ألا تستطيع القيام بهذه المهمة — من أجلى ؟

درو : (فى حيرة) سو ، إنى ـ إن هذه الفكرة لم . . .
(وعند ما يلمح على وجهها نظرة تنم عن خيبة أملها بسبب تردده — يقول فى حزم) سأقوم بهذا العمل بكل تأكيد ياسو ، مادمت تريدين ذلك . سأؤديه إذا استطعت . ولكن علينا أن نسرع . وعليك أن تبقيه فى المنزل بطريقة ما ، إذا ما عزم على الخروج.وسأتحدث أنا إليهما (تتجه إلى مدخل الباب ويسير درو نحو هورن وكيتس) .

سو : (بعد أن تنصت) إنه ما زال فى الداخل مع أمى . والأمر على مايرام .

درو : (إلى هورن) ما رأيك فى أن أكون القبطان فى هذه الرحلة ؟ انصت إلىّ ، لقد قررت مس سو أن والدها ليس فى حالة تسمح له بالقيادة فى هذه الرحلة .

هورن : هذه حقيقة . هذا صحيح .

كيتس : (إلى هورن محتجا) ولكن إذا انكشف أمرنا فإن العجوز سيحملنا وحدنا المسئولية ، دونه .

هورن : (فى عنف ـ ينظر إلى كيتس نظرة ذات مغزى ويقول) اخرس ، أيها الأحمق !

درو : (فى ضجر) سأتحمل أنا تبعة هذه المغامرة كلها يارجل !

سو : (فى حماس) أعدكما ألا يصيب أحدكما أى أذى .

هورن : (فى لهجة من يساوم) إذن سنقوم بهذه المخاطرة (محذرا) ولكن لابد أن يتم الأمر فى دقة ياسيدى .

درو : علىّ إذن أن أحضر متاعى . سأعود فورا لنصعد إلى السفينة فى الحال (يدخل المنزل، وتتبعه سو) .

كيتس : (فى غضب أحمق) لو سألتنى رأيى فى هذا الأمر لقلت إننا نورط أنفسنا .

هورن : وأنا أقول لك إنها ضربة حظ هائلة .

كيتس : سيكون على ظهر السفينة ليتجسس علينا .

هورن : دع أمر خديعته لى . وعندما يحين الوقت المناسب للتخلص منه ، سأجد الوسيلة لذلك .

كيتس : (فى عناد) ما دام لن يحصل على نصيب من الذهب ...

هورن : (فى احتقار) نصيب ، أيها الغبي ! إنى أفضل أن أراه فى جهنم أولا ، وأن أرسله إليها بنفسى (يخرج درو من المنزل حاملا حقيبته ويناولها إلى كيتس ـ وسو تتبعه) .

درو : هيا ـ انشطا الآن !

هورن : سمعا ـ سمعا ياسيدى . (يهبط هورن وكيتس بسرعة على السلم) .

سو : (تلقى بذراعيها حول رقبته وتقبله) وداعا ، ياداني إنه

لجميل منك أن تفعل ذلك من أجلنا . لن أنسى ذلك أبدا . .

درو : (فى رفق) شش ! إنه شيء لا يستحق الشكر ياسو .

سو : (دامعة) أوه ، يادانى ، آمل أن يكون مافعلته هو الصواب ! سوف أفتقدك كثيرا ! ولكنك ستعود بأسرع مايمكنك.

درو : طبعاً !

سو : دانى ! دانى ، أحبك !

درو : لاشك أنك تعرفين أنى أيضا أحبك ؟ (يقبلها) سنتزوج عندما أعود هذه ، المرة بالتأكيد ؟

سو : أجل ، أجل - يادانى - بالتأكيد !

درو : يجب أن أسرع . وداعا ياسو .

سو : وداعا ، ياعزيزى (يتبادلان قبلة أخيرة ويختفى هابطا السلم بينما تقف هى فى أعلاه تنتحب ، وتتبعه بنظراتها . يظهر نات من المؤخرة حول المنزل ويتجه نحو الباب الأمامى)

نات : (يشاهد أخته) سو ! إنه لم يذهب بعد؟ (لا تسمعه . يتردد بعض الوقت عند مدخل الباب ، منصتاً إلى صوت والده من الداخل . ثم يدخل المنزل على أطراف أصابعه وهو يحرص على ألا يحدث صوتا . تلوح سو بيدها لدرو الذى يبدو أنه وصل إلى سطح السفينة . ثم تغطى وجهها بيديها وهى تجهش بالبكاء . يخرج نات من المنزل مرة أخرى ويتجه إلى أخته . وعندما تراه يقترب منها تجفف

دموعها بسرعة وتحاول أن تبتسم) .

سو : هل استدعيت الطبيب يانات ؟

نات : نعم . ووعد بأنه سيأتى فورا . (ينظر إلى وجهها)ماذا؟ هل كنت تبكين ؟

سو : لا (تسير بعيداً عن حافة الصخرة ليتبعها)

نات : بل كنت تبكين . انظرى إلى عينيك .

سو : أوه يانات، إن الأمور فى غاية السوء (تنهار مرة أخرى)

نات : (يحاول أن يواسيها وهو شارد الذهن) لا ترهقى نفسك هكذا . إن أمنا ستصبح بخير بمجرد أن يحضر إليها الطبيب (ثم فى فضول) إن أبى فى الداخل معها ـ إنهما يتناقشان ـ هل تعتقدين أنهما تصالحا ؟

سو : أوه . لا أعرف يانات .

نات : لقد أجهد نفسه فوق مايطيق ـ بالانتظار وإخفاء سره عنا جميعاً ما ذا تظنين هذا السر ياسو ؟

سو : (فى عنف) لا أعرف ، ولا يهمنى أن أعرف !

نات : لا بأس ، هناك شيء ما ـ (يهم بالاتجاه نحو الرصيف. تبذل سو كل جهدها لتعترض طريقه وتبقيه فى مكانه) هل هم جميعا مستعدون على الباخرة ؟ إن عليه أن يسرع إذا كانت السفينة ستبحر فى هذا المد . (فى انفعال مفاجىء) أوه ، ينبغى أن

أذهب الآن ! لا أستطيع البقاء هنا ! (فى توسل) ألا تعتقدين ياسو أنك إذا رجوته بشأنى فإنه ـ إنك الوحيدة التى يبدو أنه يتصرف معها بتعقل ويهتم بما تقول .

سو : لا ! لن أفعل ذلك ! لا أستطيع !

نات : (فى غضب) ألا تعقلين ؟ أليس من الأفضل لنا جميعاً أن أسافر بدلا منه ؟

سو : لا أنت تعرف أن هذا غير صحيح . ستفقد أمك عقلها إذا رحلت .

نات : وسأفقد عقلى إذا بقيت !(يكاد يفطن إلى أن سو تحاول أن تمنعه من النظر إلى أسفل ـ إلى السفينة .. فيقول فى هياج) لماذا تمسكين بذراعى هكذا ياسو ؟ أريد أن أرى ماذا يفعلون (يدفعها جانباً ويذهب إلى الرصيف ـ يقول فى اضطراب) لقد نشروا الشراع الأمامى والشراع الأوسط ويعملون على نشر الشراع الخلفى (فى حيرة شديدة) عجباً .إنهم يبحرون ! السفينة تبتعد عن المرفأ (يقول فى قلق متزايد) إنى أرى أربعة منهم على ظهر السفينة ! من ـ من هذا ياسو ؟ .

سو : إنه دانى !

نات : (فى حنق) دانى ! أى حق له ـ بينما أنا لا أستطيع ذلك ! سو ، نادى أباك ! قلت إنهم يبحرون ، أيتها الحمقاء ! .

سو : (تحاول تهدئته ـ تقول بصوت مرتعش) نات ! لا تكن أحمق . لن يذهب دانى بعيداً ـ إنه يحاول تجربة السفينة فقط ليرى كيف تسير إلى أن يلحق بهم أبوك .

نات : (متردداً) أوه (ثم فى مرارة) إنه لم يسمح لى حتى بهذا — أنا ابنه — انظرى يا سو . لابد أن يكون ذلك هو دانى الذى يقف فى مؤخرة السفينة ملوحاً .

سو : (فى انهيار) نعم . (تلوح بمنديلها فوق رأسها ثم تنهار وهى تجهش مرة أخرى . . يسمع صوت بارتليت وهو يحدث جلبة فى الداخل ثم يظهر عند مدخل الباب بعد برهة. يبدو عليه أنه نافد الصبر، محطم تماماً . يتردد فى حيرة . ينظر حوله فى وحشية كما لو كان لا يعرف ماذا يفعل أو إلى أين يذهب) .

سو : (بعد نظرة واحدة إلى وجهه — تجرى إليه وتلف ذراعها حول عنقه) أبى ! (وتبكى فوق كتفه) .

بارتليت : سو . لقد أخطأت عند ما توسلت إلىّ أن أذهب لرؤيتها . كنت أعلم أن ذلك لن يفيد شيئاً . لقد وعدتنى أن أملك لن تطاردنى بإلحاحها — ولكنها أخذت تقول لى « اعترف » . وليس لدى سر لا أجرؤ على الاعتراف به حتى أمام المحكمة . ثم تقول « لا تقم بهذه الرحلة ، إن عليها لعنة الله » (بلهجة حزن حائرة) تقول ذلك بعد أن منحت السفينة اسمها (فى تحد خفيف ممزوج

بالحيرة) ولكنى سأرحل سواء كانت هناك لعنة أو لم تكن
(يتجه ناحية الرصيف ، سو متعلقة بذراعه) .

سو : (فى فزع) أبى ! ألا تعود إلى المنزل ؟

بارتليت : يؤسفنى ألا ألبى رغبتك ياسو ، ولكن لاحيلة لى فى الأمر ، وسوف تعلمين السبب يوما ما — وتسرين له . والآن وداعاً . (فى رقة غريبة مفاجئة ، ينحنى ويقبل ابنته . وعندما يبدو عليها أنها ستستمر فى الاحتجاج إلى أبعد من ذلك ، يصبح وجهه صارما جامداً) لا داعى للكلام أكثر من هـــذا ياسو ! إنى مضطر لذلك . (ينتزع يدها من ذراعه ويخطو نحو الرصيف . يلقى نظرة واحـدة إلى البناء ثم يقف دون حراك — فى همسة خشنة) أى خدعة لعينة هذه؟ (يشير إلى السفينة ثم يلتفت إلى نات فى حيرة) أليست هذه يابنى - سفينتى - « سارة آن » التى تتجه إلى الأفق ؟ .

نات : (فى دهشة) نعم ، بكل تأكيد . ألم تعلم هـذا ؟ إن دانى يجربها ليرى كيف تسير ، بينما ينتظرونك

بارتليت : (فى تنهيدة هائلة تدل على الارتياح) أجل (ثم فى غضب) إنه استباح لنفسه أكثر مما يجب ليبحر بها دون إذن منى . ألا يعلم أنه ليس هناك وقت ليضيعه فى عبث الأطفال (ثم فى إعجاب) إنها تبحر فى روعة ، أليس كذلك يابنى ؟ كنت أعرف أنها ستبحر بسرعة فائقة .

نات : (فى حماس) نعم ، إنها جميلة رائعة ! ولكن ألا ترى أن دانى قد بعد بها أكثر من اللازم ؟

بارتليت : (فى قلق) ينبغى أن يرجع الآن إذا كان يريد أن تساعده الرياح فى العودة إلى الميناء . (فى غضب شديد) ارجع عليك اللعنة ! القذر ! هذه هى عاقبة التدرب على قيادة البواخر ، إننى أكاد أثق فى قدرة سو على قيادة السفينة أكثر مما أثق فيه (يلوح بذراعه ويصيح) ارجع

نات : (فى مرارة) يبدو عليه أنه يتجه مباشرة إلى عرض البحر . يبدو أنه يبحر بأقصى سرعة .

بارتليت : (كما لو كان لا يستطيع تصديق عينيه) لقد خرج من الميناء — والآن يتجه بالسفينة إلى البحر من الجنوب الشرقى إلى الشرق . يا إلهى . إن هذا هو الطريق الذى رسمته لها (تنفجر سو باكية . يستدير نحوها ، وفمه مفتوح ووجهه ملىء باليأس الغبى) لا بد أن فى الأمر شيئاً ، ما هو ياسو ؟ ما هو يا نات؟ (يبدأ صوته فى الارتعاش من الانفعال) هذه السفينة ، إنها تبحر بدونى (يقفز فجأة إلى نات ويمسكه من رقبته . يهزه فى حنق بالغ)ما هو أيها الكلب؟ هذا تدبيرك ، لأننى لم أدعك تذهب . أجبنى !

سو : (تندفع إليهما وهى تصيح) أبى ! (تشد يده فى عصبية ـ بارتليت يترك يديه تسقطان إلى جانبه ، يتراجع

مبتعداً عن نات الذى يسقط على الأرض فى ضعف ، يلتقط أنفاسه . يقف بارتليت ناظراً إليه فى وحشية) نات لا يعرف شيئاً يا أبى . إنها غلطتى . لقد اضطررت إلى ذلك ، ولم تكن هناك وسيلة أخرى .

بارتليت : (حانقاً) ماذا تعنيين ، يافتاة ؟ ما هذا الذى فعلت ؟ أخبرينى . قلت لك أخبرينى وإلا . .

سو : (فى شجاعة) كان لا بد أن نمنعك من الذهاب بأية وسيلة. ولهذا طلبت من دانى أن يقوم بالرحلة بدلا منك . فقد حصل تواً على شهادة قبطان ـ أوه ، يا أبى ، يمكنك أن تثق به . أنت تعلم هذا ! كما أن هورن قال إنه يعلم كل ما تريد أن تفعل ، ووعد بأن يخبر دانى به ، وسيعود دانى ثانيةً .

بارتليت : (مختنقا) هكذا ـ هذا هو الأمر إذن (يهز قبضة يده نحو السماء كما لو كان يتنبأ بالمصير الذى يشعر به) عليك اللعنة ! عليك اللعنة ! (يسكن فى ضعف ، تخور قواه ، وتسقط يداه متراخيتين إلى جانبه) .

مسز بارتليت : (تظهر عند مدخل الباب . وجهها شاحب من الألم . تصدر صيحة فرح عندما ترى ابنها) نات ! (ثم فى نظرة فزع عندما تقع عيناها على زوجها) إيزايا ! (يبدو أنه لا يسمع) إذن أنت لم تبحر بعد ؟

سو : (تذهب إليها ـ تقول فى رفق) لا ، ياأمى ، إنه لن يرحل .

إنه سيبقى فى المنزل معك . ولكن السفينة أبحرت . انظرى (تشير إليها ، وتتجه عينا أمها نحو البحر)

بارتليت : (لنفسه بصوت مرتفع - برهبة من يؤمن بالخرافات - وفى خوف حائر) هناك شيء غامض - شيء خطأ - هناك لعنة لا أدرى كنهها .

مسز بارتليت : (تلتفت إليه بعينين متهمتين - وتقول فى نوع من الانتصار المحموم) يسرنى أن أسمعك تعترف بذلك يا إيزايا . نعم هناك لعنة - لعنة الله على الرجال الأشرار المخطئين . أشكر الله على أن أنقذك من شرور هذه الرحلة ، وسأدعوه أن ينزل عقابه ولعنته على الرجال الثلاثة فوق تلك السفينة التى أجبرتنى أن أطلق عليها اسمى (ترفع يديها كما لو كانت تطلب أن يقع الجزاء على السفينة التى لا تكاد تراها) .

سو : (فى رعب) أمى !

بارتليت : (يخطو نحو زوجته فى نوبة غضب جنونية) اسكتى - أقول لك ! (يرفع قبضته فوق رأسها كمن يريد أن يسحقها) .

سو : أبى !

نات : (يقفز من حيث كان يجلس على الأرض - ويقول فى خشونة) : أبى ! بحق السماء !

مسز بارتليت : (تلهث فى ضعف وخوف) أتريد قتلى

أنا الأخرى يا إيزايا ؟ (تغلق عينيها . تنهار بين ذراعى سو) .

سو : (فى ارتعاش) نات ! ساعدنى ! بسرعة ! يجب أن نحملها إلى فراشها (يتلقيان أمهما بين أذرعهما و يحملانها إلى داخل المنزل).

بارتليت : (بينما هما يفعلان - يجرى هو فى نوبة جنونية إلى الرصيف على حافة الصخرة . يضع يديه على فمه على هيئة مكبر للصوت ويصرخ فى حمق يائس) سارة الن ! عودى ! عودى ! . .

(بينما تسدل الستار)

الفصل الرابع

المنظر

فى حوالى الساعة التاسعة من إحدى الليالى المقمرة بعد مرور عام كامل – قمرة القبطان بارتليت ، وهى حجرة مبنية فوق سطح المنزل كمركز للمراقبة ، الداخل مهيأ كإحدى « القمرات » فى سفينة شراعية. وعلى اليسار فى المقدمة فتحة أشبه بنافذة السفينة . وفى المؤخرة سلم ، كذلك السلم الذى يصل بين ظهر السفينة والغرف السفلى منها . وبعده فتحتان أخريان . فى المؤخرة على اليسار « بوفيه » يعلوه لوح من الرخام . وفى وسط المؤخرة باب يفتح على السلم المؤدى إلى أسفل المنزل . وإلى جوار الحائط الذى على يمين الباب سرير يجرى عليه بطانية . وفى الحائط الأيمن خمس فتحات ، وتحتها مباشرة « دكة » خشبية. وأمام هذه الدكة منضدة طويلة وكرسيان أحدهما أمامها والآخر إلى يسارها . وعلى الأرض سجادة رخيصة داكنة اللون . وفى السقف، فى مكان متوسط بين المقدمة والمؤخرة ، كوة تمتد من الباب إلى الطرف الأيسر للمنضدة . وفى أقصى يمين هذه الكوة بوصلة بحرية. ويدخل الضوء من صندوق الإبرة المغناطيسية ، ثم ينساب إلى الحجرة ملقيا ظلا دائريا غير محدد للبوصلة على الأرض . يتسرب ضوء القمر إلى الحجرة من الفتحات الموجودة على اليمين . على المنضدة فانوس مضاء.

عندما ترفع الستار نشاهد «سو» ودكتور «بيرى» يجلسان إلى المنضدة.

والدكتور رجل فى حوالى الستين من عمره ، قوى الجسم ، تبدو عليه علامات الصحة ، ويزيد شعره وشاربه الأبيضان من وسامة وجهه المورّد . وعيناه الزرقاوان لهما تعبير رقيق ، وابتسامته تدل على الرقة والعطف . وهو يعامل « سو » معاملة طبيب الأسرة وصديقها القديم الذى يرى أن من بين واجباته أن يقوم بدور الأب الذى يتلقى اعترافات مرضاه . «سو » ترتدى ملابس الحداد ، وتبدو أكبر من سنها بكثير ، ولكن وجهها يعلوه فى هذه اللحظة ثورة انفعال ينم عن السعادة ، وتلتمع عيناها بفرح ما لم تكن تتوقعه .

سو : (فى انفعال) وهذا هو خطاب دانى ، يا دكتور ـ إنه يبرهن أن الأمر كله حقيقة (تتناول خطابا من صدر ثوبها وتناوله له)

الدكتور : (يأخذه فى ابتسامة ، وهو يربت على يدها) لا أستطيع أن أعبر عن مدى سرورى ياسوزان . إن وصول هذا الخطاب ـ بعد أن سلمنا جميعاً بموته ـ أشبه بالمعجزة .

سو : (تبتسم فى سعادة) اقرأ ماذا يقول .

الدكتور : (مترددا ـ يقول مداعباً) لا أعتقد أن هذا يليق بى ـ خطابات غرامية فى مثل سنى ؟ !

سو : بل أرجو أن تقرأه . (يبحث فى جيبه عن نظارته . سو تستمر فى حديثها فى اعتراف بالجميل) أتظن أنى أحجب عنك أية أسرار بعد كل مافعلته من أجلنا منذ موت أمى ؟ لقد كنت أنت الصديق الوحيد الذى ـ (تتوقف . وترتعش شفتاها)

الدكتور : لا ... لا (يثبت نظارته على عينيه ويرمق سو من فوقها) ومن الذى يأبى أن يقدم كل ما يستطيع من معونة لفتاة فى مثل شجاعتك ؟ قليلون هم الذين يستطيعون أن يحتملوا ماحدث لك فى العام الماضى من موت أمك ـ ثم خبر فقد السفينة ـ هذا إلى جانب العيش معه فى منزل واحد على ماهو عليه ـ حتى ولو كان أباك .

سو : (تحملق فى الكوة الموجودة بالسقف - تقول فى خشية)

شش . . . ربما سمعك .

الدكتور : (ينصت فى انتباه) لن يسمعنى . إنه هناك يسير جيئة وذهاباً ، ينظر إلى البحر منتظراً السفينة التى لن تعود أبداً ! (يرتعد) ! هذا بيت الأحلام الجنونية !

سو : ألا تعتقد أن أبى سيدرك بمرور الوقت أن السفينة قد فقدت ولن تعود ؟

الدكتور : لا ، إن إباك لن يسمح لنفسه بمواجهة الحقائق . وإذا فعل فمن المحتمل أن تقتله الصدمة . لقد أصبح هذا الحلم اللعين محور حياته . لا ، ياسوزان ، إن إيمانه سيزداد مع مرور الوقت . إننى بعد مراقبته طوال العام الماضى - وأنا هنا أتحدث من أجله أيضا ، بوصفى صديقه الحميم منذ عشرين عاماً أو تزيد - مازلت عند نصيحتى النهائية . . . إرسليه إلى مستشفى الأمراض العقليه .

سو : (مرتعدة) لا ، يادكتور .

الدكتور : (يهز رأسه) ستضطرين إلى ذلك يوماً ما . إن حالته تزداد سوءا . وربما تحول إلى العنف .

سو : كيف تقول ذلك ؟ وأنت تعلم كم هو رقيق وعاقل معى ؟

الدكتور : إنك وسيلة اتصاله الوحيدة بالأشياء كما هى - ولكن هذا لايمكن أن يدوم . آه ، ياعزيزتى ، شىء واحد ينبغى

أن تتحققى منه ! يجب التفرقة بين والدك ونات بأية طريقة . إن نات يوشك أن يتحطم . ولا شك أنه هو الآخر يشارك والدك الاعتقاد بأن السفينة لم تفقد .

سو : تعنى أنه مازال يأمل ألا يكون النبأ صحيحاً . هذا شئ طبيعى . إنه الآن فى سان فرانسيسكو ليتأكد من صحته . فقد قرأ فى الصحف أن سفينة الشحن البريطانية التى عثرت على حطام سفينتنا توجد هناك ، فذهب ليتحدث إلى رجالها. وأرجو أن يعود وهو مقتنع تماماً ، وقد نسى كل شئ عن هذا الموضوع .

الدكتور : (يهز رأسه - يقول فى جد) لقد راقبته وتحدثت إليه . عليك ياسوزان أن تقنعيه بالرحيل من هنا .

سو : (فى عجز) لست أدرى - (ثم فى ابتهاج) يكفى الآن أن نعلم أن دانى مازال على قيد الحياة وأنه سيعود . اقرأ خطابه هذا يا دكتور .

الدكتور : نعم . نعم . فلنر . (يخرج الخطاب من المظروف)

سو : مسكين دانى ! لقد مر بأشياء فظيعة .

الدكتور : رانجون !

سو : نعم ، مازال فى المستشفى هناك . سترى .

الدكتور : (يقرأ الخطاب - يمهمهم فى دهشة - ثم فى غضب) يا إلهى ! . . الأوغاد الملاعين .

سو : (منتفضة) نعم،ألم يكن بشعاً أن يطعنه هؤلاء الأشرار ويتركوه وقد أشرف على الموت فى تلك البقعة المنعزلة التى لايسكنها إلا أهلها الأصليون؟ ! ثم إنه مكث هناك أربعة أشهر ينتظر سفينة تعيده إلى حيث المدنية . ثم تصور أنه فوق كل ذلك كان مصاباً بالحمى وعلى وشك الموت فى مستشفى رانجون !

الدكتور : يالها من محنة ! لقد كان من حسن الحظ أنه لم يمت . إننى . أرى أنه كان يتوقع مصير السفينة (يطبق الخطاب ويعيده إلى مكانه) ويبدو أنه لم يعرف ماذا كان الغرض من هذه الرحلة الحمقاء . إنه يقول إن هورن أخفى عنه كل شئ حتى النهاية . هذا شئ غريب ـ فى غاية الغرابة ـ ولكنى سعيد أن أعرف أن هؤلاء الأوغاد قد نالوا جزاءهم الأخير .

سو : (فى انتفاضة) لقد كنت أخافهم دائماً . كان مظهرهم يدل على أنهم قتلة (يجفلان عندما يسمعان جلبة من أسفل . يسمع صوت خطوات تصعد السلم . تهب سو واقفة فزعة) ما هذا ؟ هل تسمع ؟ ترى من يكون القادم ؟ (يسمع صوت نقرة خفيفة على الباب . فيهب الدكتور واقفاً . تلتفت إليه سو فى ضحكة شبه هستيرية) هل أفتح ؟ إنى خائفة ـ وإن كنت لا أعرف السبب .

الدكتور : لا . لا تخافى ! سأرى من يكون . (يفتح الباب ويرى

نات على السلم فى الخارج) أهلا يافتى . لقد أفزعتنا ... ظنت سوزان أن شبحاً يطرق الباب .

نات (يدخل الحجرة. يبدو عليه أنه قد شاخ وأصبح أكثر نحافة . وجهه ضامر شاحب من الإجهاد الذهنى المستمر، وعيناه حزينتان زائغتان يرفع نظره إلى الكوة الموجودة بالسقف فى خوف ـ ثم يلتفت إلى سو) لم أجدك فى الطابق الأسفل ف . . . . . . (ثم إلى الطبيب) نعم . يبدو أن المرء أصبح يؤمن بوجود أشباح فى هذا المنزل !(ينظر إلى أعلى . ثانية) إنه هناك ، فوق، كالمعتاد ، ينتظر سفينة لن تعود ، لن تعود بعد الآن !

الدكتور : (يهمهم موافقاً) إننى سعيد إذ أسمعك تسلم بهذا .

سو : (التى بدأت تتخلص من خوفها) ولكن ، يانات ، لم أكن أتوقع منك أن ـ هل اكتشفت أن . . ؟

نات : نعم ، لقد تحدثت إلى كثير من الرجال الذين كانوا على ظهر السفينة وقتئذ ، فقالوا إنهم اقتربوا بسفينتهم من سفينتنا حتى كان من السهل عليهم أن يقرأوا الاسم بالعين المجردة . وقد أجمعوا أنها ـ سارة ألن ، هاربور بورت ، وتذكروا حتى لون طلاء مؤخرتها . ليس هناك أى مجال للخطأ . لقد ذهبت سارة ألن . (فى يقين تام) لقد سرنى هذا ـ سرنى للغاية ! أشعر أنى استعدت حريتى ، ويمكننى أن أعود إلى عملى ، ولكن ليس هنا .

علىّ أن أرحل ـ وأبدأ من جديد تماماً .

سو : (فى سعادة ، تسير نحوه وتلف ذراعيها حوله) جميل جداً أن نسمعك تتحدث كسابق عهدك .

الدكتور : (فى حماسة) نعم يا نات ، هذا والله عين الصواب . تخلص من هذا كله .

نات (ينظر إليه نظرة غريبة) أعتقد أنك ظننت أنى جننت ، آه ، مثله ؟ (يشير إلى أعلا ـ ثم فى ضحكة مترددة) الطبيب يبحث دائماً عن المتاعب فى الوقت الذى لا يوجد شىء منها . (فى لهجة من يريد أن ينهى الحديث) لا بأس ، لقد انتهى ، الآن ، كل شىء ، على أى حال .

سو : (تختطف الخطاب من على المنضدة) أوه ، لقد نسيت يا نات . اقرأ هذا . استلمته أمس .

نات : (يقلبه فى يديه متشككا) ممن ؟ .

سو : افتحه ، وسترى .

نات : (يفعل ذلك ثم يقلب صفحات الخطاب ليقرأ التوقيع ـ يجفل ثم يقول فى خشونة) دانى ! لا يمكن ! ولكن هذا الخط خطه بالتأكيد ! (يصيح فى ابتهاج وحشى مفاجىء) إذن لا بد أنهم كذبوا علىّ !

سو : لا . إن السفينة سارة ألن قد تحطمت بلا شك ، ولكن

ذلك حدث فيما بعد ـ اقرأه ، وسترى (نات يتهاوى على مقعد . ومن الواضح أنه ابتأس لهذه الحقائق . ويبدأ فى قراءة الخطاب بعدم اكتراث واضح ، ثم ينهمك فى القراءة ويبدو عليه الاضطراب وتهتز الورقة فى يده ، يهز الدكتور رأسه لسو مبديا عدم رضائه عن اعطائه الخطاب . نات ينتهى من قراءة الخطاب ثم يهب واقفا على قدميه ـ ويقول فى غضب) .

نات : الغبى الأحمق ، لقد سمح لهورن أن يخدعه ببساطة .

سو : (فى حنق) نات !

نات : (غير متابع لكلامها) أوه ، لو كنت أستطيع أن أذهب بدلا منه ! لقد كنت أعرف هورن على حقيقته . لم يكن يستطيع أن يخدعنى كما خدعه ، كنت انتزعت السر منه حتى لو اضطررت إلى أن ـ (يرفع قبضته فى حركة تهديد تشبه حركة أبيه ـ ثم يتركها تسقط إلى جانبه ويجلس ثانية ـ يقول فى تقزز) ولكن ما الفائدة ؟ ما فائدة كل هذا ؟ (يلقى بالخطاب فى احتقار على المنضدة) كان الأحرى ألا يكتب .

سو : (تختطف الخطاب ـ تقول وقد أوذى شعورها إيذاء شديداً) غريب . ألم يسرك أن تسمع أن دانى مازال على قيد الحياة ؟

نات : (يلتفت إليها فى الحال ويقول فى اضطراب يدل على شعوره بوخز الضمير) نعم ـ نعم ـ طبعاً ، ما كان ينبغى أن أقول ذلك

ياسو ، ما كان ينبغى . إن ما أقصده هو أنه لم يستطع أن يعرف السر من هورن ـ كما أننا لم نكن أكثر حكمة منه .

الدكتور : (يقول بسرعة ـ وبنظرة ذات مغزى إلى سو) والآن ، ياسوزان وأنت يانات ـ علىّ أن انصرف بسرعة ـ (بطريقة لها مغزاها) سأحضر ثانية غداً ، ياسوزان .

سو : أجل ، أرجوك أن تحضر . (تصحبه إلى الباب) هل تستطيع أن ترى طريقك ؟

الدكتور : نعم ، سعدتم مساء .

سو : سعدت مساء . (تغلق الباب وتعود إلى نات . يتلاشى وقع أقدام الدكتور) .

نات : (بعنف) هذا العجوز الأحمق الخبيث ! ماذا يفعل هنا؟ يتسكع فى المنزل طوال الوقت ؟ لقد بدأت أكره منظره .

سو : نات ، لا يمكن أن تعنى ذلك . تذكر ما أظهره من عطف نحونا .

نات : نعم ـ عطف لغرض فى نفسه .

سو : لا تكن غبيا . أى غرض فى نفسه سوى الرغبة فى مساعدتنا ؟

نات : ليعرف أسرارنا طبعاً ، أيتها البلهاء ، ويعرف الحقيقة من أبى فى لحظة لا يدرك فيها ما يقول .

سو : (فى حنق) نات !

نات : يالها من خدمات ، ولكنى أعرف أبى . فسواء أكان عاقلا أم غير عاقل ، فإنه لن يبوح بالسر لإنسان — حتى لو كان أنا أو أنت — ياسو (فى غضب مفاجىء) إننى راحل — ولكن قبل أن أرحل سأجعله يخبرنى ! لقد كان خائفاً أن أعرف ، كان مذعوراً لدرجة أنه لا يتحدث إلىّ — إنه يرصد على نفسه فى أعلى . ولكننى سأجعله يخبرنى — نعم ، سأجعله !

سو : كن حذرا ، يا نات . سيسمعك إذا رفعت صوتك هكذا

نات : ولكن من حقنا أن نعرف — فنحن أولاده . ماذا يحدث لو مات دون أن يتكلم ؟

سو : (فى قلق) كن عاقلا يا نات . ليس عنده شيء يخبرك به إلا فى مخيلتك فقط . (تأخذ بذراعه — تقول فى استمالة) فلنهبط إلى الطابق الأسفل . سأحضر لك شيئاً تأكله . لا بد أنك تكاد تموت جوعاً !

نات : (يقف وينظر حوله مرتعداً) ياله من مكان ذلك الذى بناه لينتظر فيه .. إنه أشبه بقمرة سفينة غرقت فى أعماق البحر — مثل قمرة سارة ألن كما يرجح أن تكون الآن .. (فى رعشة) إنها تجعل المرء يرتجف . لا عجب إذا كان قد أصابه الجنون (ينصت) استمعى إلىّ . اليوم يكون قد مضى على إبحارها عام كامل . لست أدرى إن كان

يعرف ذلك . إنه يسير جيئة وذهاباً يحملق فى البحر دائما باحثاً عن سارة ألن . هاه ! يا إلهى ! إن بدنى ليقشعر ! (فى اقتضاب) هيا بنا . فلندعه وننزل إلى أسفل حيث الضوء والدفء . (يهبطان السلم ويغلقان الباب خلفهما . تسود فترة سكون . يسمع صوت الباب المؤدى من أعلى إلى الدور الأسفل وهو يفتح ثم يغلق . تهب لفحة من الهواء إلى داخل الحجرة . بارتليت يدق السلم برجليه . ويبدو على وجهه جليا الجنون الذى كاد يسيطر عليه تماما خلال العام السابق ؛ ولا سيما فى عينيه اللتين يبدو أنهما تحملقان من خلال الأشياء وخلفهما فى تعبير ينم عن الخوف والانزعاج وحركات أشبه بحركات إنسان آلى يتحرك بأسلاك غير مرئية ! فهى حركات سريعة مهتزة تشنجيه . يبدو عليه أنه يعانى انفعالات عنيفة غيرعادية . يقف لحظة عند أسفل السلم ، يرمق ماحوله فى ارتياح . ثم يذهب إلى المنضدة ويجلس على طرف أحد المقاعد ، وقد أسند ذقنه إلى يديه) .

بارتليت : (يأخذ قطعة ورق مطوية من جيبه وينشرها على المنضدة تحت ضوء الفانوس ــ مشيراً إليها بأصبعه ــ ويقول مغمغما) حيث يوجد الصليب . لن تنسى ذلك ياسيلاس هورن ــ إن معك نسخة من هذه ــ ليس هناك مجال للخطأ ، أيها الرفاق ــ إن الذهب هناك ، باق فى أمان ــ عودوا به إلىّ ، وسنقتسمه فيما بيننا بالعدل والقسطاس . لقد مضى عام اليوم ــ وأنت تتذكر الأوامر التى كتبتها لك ــ ياهورن . (مهدداً) إنك لن تغيب أكثر من

سنة وإلا فسوف ــ أما إذا عدت إلى الميناء هذه الليلة فارفع ضوءاً أحمر وأخضر فى أعلى السفينة حتى أراك قادماً . أحمر وأخضر . (يقف فجأة ويذهب إلى الفتحة التى يراقب منها الميناء وينظر إلى البحر فى خيبة أمل) لا أضواء هناك ــ ولكنهم سيحضرون . لقد انتهى العام اليوم وعليكم أن تحضروا وإلافسوف ــ (يتهاوى فى مقعده ثانية ، ورأسه بين يديه . يجفل فجأة ويحملق أمامه كما لو كان قد رأى شيئا فى الهواء ــ ويقول فى تحد غاضب) هيه ، أنتما هناك مرة أخرى ــ أنتما الاثنان ! تسخران منى ! نحاس وخردة ، تقولان : لايساوى شيئاً ! أنتما لا تصدقان ، أليس كذلك ؟ سأريكما (يهب واقفا ثم يقوم بحركة كأنه يمسك بشخصين من عنقيهما ويهزهما ــ يقول فى وحشية) أنتما تكذبان ! هل هذا ذهب أم لا ؟ (فى ضحكة ساخرة) هيه ، لقد اعترفتما بذلك الآن ، حسن جدا ! ولكن بعد فوات الأوان ، أيها الأوغاد ! لا نصيب لكما ! (يتهاوى ثانيةً على مقعده بعد فترة سكون ، يقول فى خمود) لقد ذهب جيمى ، فليذهبا إلى الجحيم . ولكنى لم أنطق بكلمة واحدة ، ياسيلاس هورن ، تذكر ذلك !.. (فى نبرة خوف) هل تموتين ياساره ؟ لا ، يجب أن تعيشى ـ تعيشى لتشاهدى سفينتك تعود بالذهب ـ وسأشترى لك كل مايشتهيه قلبك فى هذه الدنيا . لا ، ليس عنبراً ياساره ، ولكن

ذهب وجواهر وعقيق. لقد أصبحنا أخيراً من الأغنياء! (فى ضيق شديد) يالعناد النساء! تقولين: اعترف! ولكننى لم أنطق بكلمة واحدة! أقسم لك! لماذا تلاحقيننى هكذا وتعتقدين الشر فيما فعلته؟ قلت لك! هذا عمل يخص الرجال وحدهم.. لو لم نفعل لقتلانا وسرقا الذهب، ألا ترين؟ (فى وحشية) كفاك. كلا، ياسارة. سأبحر رغماً عنك! (يقف ويذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. يفتح الباب الذى فى المؤخرة ويدخل نات ثانيةً. يحملق فى والده ثم ينظر إلى السلم خلفه فى حرص ليرى ما إذا كان أحد يتبعه. يدخل ويغلق الباب خلفه فى عناية)

نات: (فى صوت منخفض) أبى! (وعندما لايبدو أن والده قد لاحظ وجوده يقول فى صوت أعلى) أبى!

بارتليت: (يتوقف عن السير ثم يحملق فى ابنه كأنما يصحو تدريجيا من حلم - يقول فى بطء) هل أنت هنا يانات؟

نات: (يتقدم) نعم، أريد أن أتحدث إليك.

بارتليت: (يجاهد ليسيطر على أفكاره) تتحدث؟ تريد أن تتحدث - إلىّ؟ إنه عمل يخص الرجال وحدهم - ولامكان فيه لصبى. فابتعد عنه.

نات: (فى تحد) هذا ماكنت تقوله دائما ولكن ذلك لن يصدنى بعد الآن. لن يصدنى. هل تسمعنى؟

بارتليت : (فى غضب) لقد أمرتك ألا تطأ قدمك أرض حجرتى هذه . اذهب واهتم بشئونك الخاصة . أين سو ؟ لقد قلت لها أن تمنعك من الدخول .

نات : لن تستطيع أن تمنعنى هذه المرة . لقد صممت . انصت يا أبى . إننى راحل غدا .

بارتليت : (فى تردد) راحل ؟

نات : نعم ، ولن أعود . سأرحل لأبدأ حياة جديدة . ولهذا أردت أن أتحدث إليك لآخر مرة ـ قبل رحيلى .

بارتليت : (فى خمود) ليس عندى ما أفضى به إليك .

نات : لابد أن تفعل . انصت . إن لدى دليلا قاطعاً على أن سارة ألن قد فقدت .

بارتليت : (فى وحشية) أنت تكذب !

نات : (فى فضول) لماذا تقول هذا ؟ أنت تعلم أنها الحقيقة . غير أنك لاتريد أن تصدق .

بارتليت : (فى شرود ـ تحول هذه الكلمة تفكيره فى اتجاه آخر) أصدق ؟ نعم ، إنه لن يصدق . . لقد قال إنه نحاس وخرده ، لايساوى شيئاً ، ولكننى أخيرا جعلته يسلم بأنه ذهب .

نات : (يكرر الكلمة فى افتتان) ذهب ؟

بارتليت : اليوم مضى عام على إبحارها ، أنت تكذب ! إنك

لا تصدق أنت الآخر. أليس كذلك؟ مثله تماما، ولكني سأريك! سأجعلك تعترف بذلك كما جعلته يعترف! (فى فرح جنونى) إنها ستعود الليلة كما أمرت هورن! أقول لك إنى أكاد أحس بها تشق طريقها إلى هنا! لقد أمرت هورن أن يضئ نوراً أحمر وأخضر فى أعلى سارية فى السفينة إذا وصل إلى الميناء ليلا. سوف ترى! (يذهب لينظر من القمرة ويتجه نات نحو قمرة أخرى وكأنه واقع تحت تأثير سحر).

نات: (يلتفت بعيدا فى خيبة أمل - يبذل مجهودا فى التخلص من أفكاره - يقول بدون اقتناع) هراء. لاشئ هناك. لست أرى شيئا من تلك الأضواء. ولا أظن أنها ستبدو قط.

بارتليت: (يثبت عينيه الوحشيتين على ابنه بمجهود إرادى كبير وكأنما يحاول أن يحطم مقاومته) أقول لك، سوف ترى - أحمر وأخضر! إن الوقت لم يحن بعد، يافتى، ولكن عندما يحين ستبدو واضحة فى الليل أمام عينيك.

(يذهب ويجلس إلى المنضدة. يتبعه نات ويجلس على المقعد الآخر. يرى الخريطة ويحملق فيها فى افتتان)

نات: ماهذه - خريطة للجزيرة؟ (يمد يده إليها).

بارتليت: (يختطفها - ثم يعود مؤقتاً إلى عقله - ويقول فى فزع) إنها لاتخصك يابنى. أولى بك أن تبتعد عن هذا الأمر (فى انتصار

جنونى) أجل ! أرى أنك قد صدقت سريعاً !

نات : (بشده) كنت أعتقد دائما أن فى الأمر شيئا . ومنذ لحظة تحدثت عن ... ذهب . (فى انتصار بدوره) لذلك لست فى حاجة لتخفى السر بعد الآن . فأنا أعرفه . إنه الذهب ـ الذهب الذى وجدته فى تلك الجزيرة ـ الذهب الذى أعددت سارة الن لتعود من أجله ـ الذهب الذى دفنته حيث يشير الصليب الذى رأيته مرسوماً على الخريطة ! (فى تأثر) ما الذى جعلك تخشى أن تثق بى ؟ إننى ابنك ! هل اعتقدت أننى لن أصدق ؟

بارتليت : (فى قهقهة جنونية) أراك تصدق الآن !

نات : قلت لك إنى كنت أصدق ذلك دائماً . (متوسلا) والآن ، وبعد إن عرفت الكثير ، لماذا لاتخبرنى بما تبقى ؟ لا بد أن أعرف ! إن من حقى أن أكون وريث هذا السر . لماذا لا تعترف ؟

بارتليت : (مقاطعاً ـ وقد تعلق ذهنه بهذه الكلمة) اعترف ؟ هل قلت اعترف ياسارة ؟ تقصدين لنات ؟ أجل ياسارة ، سأخبره بكل شئ وأترك له أن يحكم إن كنت قد ارتكبت جرما (يثبت عينيه اللامعتين على ابنه) سأخبرك يابنى ، من البداية حتى النهاية . لقد كنت أتوق إلى أن أخبر أى شخص ـ شخص يصدقنى ـ شخص يقول إننى لم أرتكب إثما ، انصت يابنى ، أنت تعلم عن الأيام الأربعة التى قضيناها فى قارب مكشوف بعد أن غرقت السفينة

تريتون . لقد حدثتك بهذا بعد عودتى من الرحلة . ولكن ما لم أخبرك به هو أننا كنا ستة أشخاص فى هذا القارب و ليس أربعة .

نات : ستة ؟ كنتم - أنت وهورن وكيتس وجيمى .

بارتليت : وطباخ السفينة وخادمها . وقضينا يومين فى الجزيرة - كانت جزيرة جرداء كأنها الجحيم . تذكر — دون طعام أو شراب — شوتنا الشمس وكاد يصيبنا العطش بالجنون . وفى اليوم الثانى ، رأيت قاربا من قوارب الملايو — قاربا حربيا مما يستخدمه القراصنة — غارقا داخل الشعب القريب من الشاطئ . وأرسلت جيمى إليه لعلنا نجد به برميلا من الماء لم ينفذ إليه ماء البحر . (فى تأكيد مؤثر) لم يجد ماء يابنى ، ولكنه وجد — هل تدرى ماذا ، ؟

نات : (فى ابتهاج) الذهب ، طبعاً !

بارتليت : (يضحك فى خشونة) ها — ها ! أراك تصدق عن يقين ! . نعم . الذهب — فى صندوق . ورفعناه إلى الشاطئ . ورفعنا عنه الغطاء (متفرسا فيه) كان هناك أمام أعيننا تحت الشمس — أساور وخواتم من الذهب ، وحلى من جميع الأنواع مطعمة بالماس والزمرد والياقوت والمرجان — أحمر وأخضر — تلمع فى الشمس ! (يتوقف فى تأثر) .

نات : (فى افتتان) الماس — ولكن كيف وصل إلى هناك ؟

بارتليت : من المرجح أنه كنز مسلوب من بعض الصينيين . ماذا يهم كيف جاء؟ كان هناك أمام أعيننا . وعندئذ ، تذكر ذلك : جاء ذلك اللص الطباخ مهرولا من حيث كان مختبئاً ليشاهد ماوجدناه . صرخت فى وجهه قائلا : « لا نصيب لك ، أيها الوغد ، عندئذ قال : « إن هذا ليس ذهبا ـ إنه نحاس وخردة» قالها وجرى بعيداً خوفاً منى . أجل ، جرى إلى الصبى وأخبره بأن ينضم إليه فى خطته الخفية ليسرق منا الذهب . .

نات : (فى عنف) ولكن لماذا لم تمنعه ؟ لماذا لم ـ ؟ .

بارتليت : سأصل إلى ذلك الآن ، وسترى إن كنت قد اخطأت . حملنا الصندوق إلى ظل نخلة . وهناك كان ينتظر الطاهى اللص ومعه الصبى . أمسكتهما كلا من « ياقته » وجعلتهما ينظران إلى الذهب وقلت لهما : انظرا واخبرانى . هل هذا ذهب أم لا ؟ (فى انتصار) وخافا أن يكذبا ـ حتى ذلك الطاهى اللص اعترف بأنه ذهب .. ولكن عندما أطلقت سراحه صاح ثانيةً « نحاس وخردة . لا يساوى شيئاً » لأنه كان يعلم أنه لن ينال نصيبه منه .

نات : (فى حنق) ولكن لماذا . سمحت ؟ لماذا لم ـ .

بارتليت : (فى رضاء جنونى) أجل ، لقد بدأت تفهم الأمر على حقيقته ، ياغلام ... فى تلك اللحظة بالذات لمحنا السفينة التى التقطتنا فيما بعد . فرسمنا خريطة . وبينما كنا ندفن الذهب لاحظنا

اللصين يتسللان ليشاهدا أين نخبئه . رأيتهما بوضوح ، الحثالة ! كان ذلك الطباخ اللص يظن أنه سيخبر الذين على ظهر السفينة ويقتسم الذهب معهم ثم يتركوننا فى الجزيرة لنموت ! أو كان يظن أنه سيتمكن من العودة هو والصبي ليخرجا الذهب قبل أن أستطيع ذلك . وكان علينا أن نفعل شيئاً سريعاً لنحبط خطتهما قبل أن تصل السفينة (فى نغمة رضاء وحشى) وهكذا ـ وبالرغم من أننى لم أنطق بكلمة ،طعنهما جيمى وأهال عليهما الرمل . ولكنى لم أنطق بكلمة ، هل تسمع ؟ إن وزر قتلهما يقع على عاتق جيمى وحده .

نات : (فى انفعال) وماذا لو كنت أمرت بذلك ؟ لقد نالا مايستحقان .

بارتلبت : إذن فأنت تعتقد أننى لم أكن مخطئاً ؟ .

نات : لا . . . أى رجل ـ حتى أنا نفسى كنت أفعل ذلك .

بارتليت : (يضغط على يد ابنه فى قوة) إنك ابنى حقا يانات . كان ينبغى أن أخبرك بذلك من قبل (فى ابتهاج) هل تسمعين ، ياسارة كيف أن نات يقول إننى لم أكن مخطئاً ؟

نات : الخريطة . هل استطيع أن أراها .

بارتليت : أجل (يناول نات الخريطة فينشرها على المنضدة ويتفرس فيها)

نات : (فى دهشة) عجيب ! ، بهذه الخريطة يمكننى ـ يمكننا ـ

أن نرجع إلى هناك - حتى لو كانت سارة الن قد فقدت .

بارتليت : إنها لم تفقد يابنى - لم تفقد - لاتصدق الأكاذيب التى سمعتها .لقد حان وقت وصولها الآن.سأصعد وأنظر . (يصعد من الباب الذى فى القمرة . يبدو أن نات لم يلاحظ خروجه ، لأنه كان يتأمل فى الخريطة . ثم يسمع صوت تهليل بارتليت) سارة الن ، سارة الن . (يجفل نات ، ثم يقف مصعوقا — ويندفع إلى إحدى النوافذ ليرى . ثم يعود ، مارا بيده على عينيه ، وهو متجهم فى حيرة . يسمع صوت الباب العلوى يفتح بشدة ثم يغلق ويشاهد بارتليت نازلا السلم) .

بارتليت : (يرمق نات وكأنه منوم مغناطيسى — يقول فى انتصار) ألم أقل لك ؟ أتصدق الآن أنها عادت؟ هل تصدق عينيك؟

نات : (فى غموض) عينى ؟ لقد نظرت ولكنى لم أر .

بارتليت : أنت تكذب ! سارة الن ، أيها الأعمى الأحمق ، تعود من البحار الجنوبية تماماً كما أقسمت أنها ستكون ! إنها ترسو ! — كانت تلقى بمرساها عند ما هللت لها .

نات : (فى ضعف ، وقد انهارت عزيمته) ولكن — كيف عرفت ؟ ربما تكون سفينة أخرى .

بارتليت : ألا أعرف سفينتى أنا ؟— والإشارة التى أمرت هورن أن يعطيها !

نات : (آليا) أعرف ، أحمر وأخضر ، فوق أعلى ساريه .

بارتليت : إذن انظر ، إذا كنت لا تصدق ! (يذهب إلى إحدى النوافذ) يمكنك أن تراها بوضوح من هنا . (آمراً) هل تصدق عينيك ؟ انظر ! (يسير نات نحوه في بطء . وينظر خلال النافذة — ثم ينتفض راجعا كالمأخوذ) .

نات : (ببطء) أحمر وأخضر — واضح كالنهار .

بارتليت : (يتغير وجهه من فرط السرور للحلم الذى أصبح حقيقة) لقد أنزلوا قاربا — هم الثلاثة — هورن وكيتس وجيمى كانا كا . إنهم يجدفون تجاه الشاطىء . انصت . إننى أسمع المجاديف وهى تتحرك . انصت !

نات : (يحملق فى عينى والده — بعد فترة صمت يبدو خلالها وكأنه يشحذ سمعه إلى مصدر الصوت — يقول فى دهشة) إنى أسمعها.

بارتليت : انصت ! لقد وصلوا إلى الشاطىء . . إنهم يسيرون فى الممر إلى هنا الآن . (فى نغمة منخفضة رتيبة) إنهم يتحركون فى بطء ـ فى بطء ـ أعرف أنه ثقيل ، ذلك الصندوق (بعد فترة صمت) انصت ! إنهم فى أسفل ، أمام الباب الخارجى .

نات : إنى أسمع !

بارتليت : ستراه الآن بعد لحظة ، ياغلام — الذهب . اصعدوا به أيها الرفاق ! اصعدوا ! إلى أعلى ، أيها الرفاق ! إنه ثقيل ، ثقيل —!

نات : (فى جنون) إننى أسمعهم يسيرون فى أسفل ! إنهم يصعدون . سأفتح الباب (يقفز نحو الباب ويفتحه فى عنف صائحا) مرحباً بعودتكم يارفاق ! (تشاهد سو فى الخارج فى اللحظة التى تصعد فيها السلم من أسفل . تخطو إلى الداخل ثم تقف.. تنتقل ببصرها فى دهشة وفزع من أبيها إلى أخيها . . يدفعها نات جانبا فى خشونة لينظر خلفها إلى أسفل السلم) .

سو : نات !

نات : (يلتفت إلى والده) سأنزل إلى المرفأ ، لابد أنهم هناك أو..(تتلاشى بقية كلماته وهو يسرع هابطا السلم . يتراجع بارتليت إلى الخلف وجلا من ابنته . ويتهالك على مقعد قريب من المنضدة وهو يئن ، ويداه ، فوق عينيه) .

سو : (تذهب إليه وتهزه من كتفيه ــ وتقول منزعجة) أبى ! ماذا حدث ؟ ماذا جرى لنات ؟ ماذا قلت له ؟ (فى يأس مرير) أوه ، ألا ترى أنك تسوقه إلى الجنون ، هو الآخر ؟

بارتليت : (يدع يديه تسقطان ويحملق فيها كالتائه . . ثم يقول فى تلعثم كأن عقله يعود إليه فى بطء) سو ــ تقولين ــ أسوقه إلى الجنون ، هو الآخر ؟ إذن أنت تعتقدين أنى . . . ؟ (يقف على قدميه . تنهار سو مجهشة بالبكاء . بارتليت يقول متلعثما) ولكنى رأيتها : سارة الن ــ الإشارات الضوئية .

ســو : أوه . . . لاشيء هناك يا أبي ! أنت تعلم ذلك ! لقد فقدت منذ شهور مضت .

بارتليت : فقدت ؟ (يتهالك على إحدى النوافذ وينظر منها . يميل جسمه وكأنه على وشك السقوط . يشيح بوجهه ويصيح في يأس وأسى يقطع نياط القلب) فقدت ! كيف ؟ لم تعد هناك سارة الن. لا أضواء — لا شيء !

سو : (متوسلة إليه في عنف) أبي ، عليك أن تنقذ نات ! إنه لن يستمع إلى غيرك . ألا يمكنك أن تخبره بالحقيقة ـ الحقيقة كلها مهما كانت ؟ الآن ، وأنا هنا ، وأنت قد عدت إلى نفسك ـ وتحرره من هذا الحلم الجنوني !

بارتليت : (في حسرة بالغة) هل تعنين ، أن اعترف ؟ سو ، إنك تطاردينني كما كانت أمك تفعل ساعة وفاتها ! هل تريدين أن اعترف بأنني أمرت جيمي بأن يفعل مافعل ؟ هل أعترف ـ بأنه نحاس وخردة ـ لايساوي شيئاً ؟ (في احتجاج محموم) لا ! أنت تكذبين !.

سو : أوه ، يا أبي ، أنا لا أعرف ماذا تعني . قل الحقيقة لنات ! انقذه ! .

بارتليت : الحقيقة أنها كذبة ! (وعنــدما تحاول سو أن تعترض طريقه إلى السلم ، يقول في تجهم) ابتعــدي عن طريقي ، يافتاة ! (يجر نفسه في ضعف إلى السلم . يسمع صوت الباب العلوي

يقفل فى عنف . تجلس سو على مقعد فى حالة من اليأس والإجهاد . بعد فترة صمت يدخل نات ثانية وهو يلهث بشدة من الإرهاق ويعلو وجهه الشاحب تعبير من اليأس) .

نات : (ينظر حوله فى الحجرة فى وحشية) أين هـو ياسو ؟ (يتقدم ثم يسقط على ركبتيه إلى جوار مقعدها مخفيا وجهه فى حجرها كطفل مذعور . ثم يجهش فى صوت أجش) ياسو : مامعنى كل هذا ؟ لقد نظرت . لم يكن هناك أى شىء ـ لا سفينة ولا شىء .

سو : (تهدىء من روعه كما لو كان غلاما صغيرا) بالطبع لم يكن هناك شىء . هل كنت تتوقع أن تجد هناك شيئاً ؟ أيها الغلام الأحمق ، تعال . إنك أعقل من هذا . ألم تخبرنى يا نات ، أنا والطبيب ، أنك مقتنع تماما بأن سارة الن قد فقدت ؟

نات : (فى جمود) نعم ، أعرف ـ ولكننى لا أصدق ـ مثله .

سو : ششش ! أنت تعلم حالة أبيك . إنه لا يدرك ما يقوله فى كثير من الأحيان .. يجب عليك أن تكون أكثر تعقلا ، فلا تلق بالا إلى ـ

نات : (فى انفعال) ولكنه أخبرنى بكل ما كان يخفيه عنا . كل شىء عن الذهب !.

سو : (تنظر اليه فى انزعاج . تقول وهى لا تفهم شيئاً) ذهب ؟ (ثم تغتصب ابتسامة) نات ، لا تكن أحمق ـ إن الذهب لا يوجد إلا فى ذهنه السقيم .

نات : (فى قسوة) هذا كذب ياسو ! لقد رأيت الخريطة ، أقول لك : خريطة للجزيرة وعليها علامة صليب حيث دفنوا الذهب.

سو : هل أراك الخريطة ـ خريطة حقيقية ؟ (فى رفق) هل أنت متأكد من أنك لا تتخيل ذلك ، أنت الآخر ؟

نات : لقد أمسكتها بيدى أيتها الحمقاء ! هناك ـ على المائدة .

(يهب واقفا ويرى الخريطة على المائدة ، ويختطفها بصيحة فرح ـ يريها لسو) انظرى ! والآن ألا تصدقيننى ! (تفحص الخريطة فى ارتباك . يسير نات جيئة وذهابا ـ يقول فى اضطراب) قلت لك إن الأمر كله حقيق . إنك لا تستطيعين إنكار ذلك الآن . لقد كان من حسن حظنا جميعا أننى أجبرته على الاعتراف . كان يمكن أن يموت وهو لا يزال محتفظا بالسر. عندئذ كنا سنفقد كل شيء ـ سأخبرك بما أنوى عمله الآن ياسو . سأوفر المال من أى مصدر وبأية طريقة وأعد سفينة أخرى ، وسأبحر عليها أنا بنفسى هذه المرة . لن أثق فى دانى ولا فى أى شخص آخر . . . نعم ، ياسو ، سننال حقوقنا ، حتى وإن كانت سارة ألن قد فقدت ـ (يتوقف ـ ثم يقول فى خوف وحيرة) ولكن ـ لا يمكن أن تكون قد فقدت ـ لقد رأيت الأضواء ، ياسو . رأيتها واضحة كما أراك الآن ـ (يذهب إلى أحدى النوافذ ثانية) .

سو : (التى كانت تلاحظه فى قلق ، تعيد الخريطة إلى المائدة .

تنهض وتقول فى لهجة واقعية سريعة بعد أن تذهب إلى نات وتمسكه من ذراعه)انزل معى يا نات . كفى تفكيراً فى هذا الأمر الليلة. فالوقت متأخر وأنت مرهق . أنت فى حاجة إلى الراحة والنوم العميق .

نات : (يتبعها إلى الباب ـ يقول فى ارتباك) ولكن ياسو لقد رأيتها ـ (يسمع فى ظلام الليل صوت نداء مبحوح صوت صادر عن بارتليت من أعلى) سارة الن ، قادمة ! (يتوقف نات فى ألم ، ترتفع يداه بشكل لا إرادى ليغطى أذنيه . وتند عن سو صيحة وجلة . يسمع صوت الباب العلوى يغلق فى عنف وينزل بارتليت إلى أسفل ، وقد بدا على وجهه أن الخبل قد استولى على عقله من جديد) .

بارتليت : (مشيرا بأصبعه إلى ابنه ومثبتا عينيه عليه ـ يقول فى لهجة مجلجلة منتصرة) سارة ألن ، يابنى ـ فى الميناء فى أسفل ! عادت من البحار الجنوبية كما أقسمت أنها يجب أن تعود ! محملة بالذهب كما أقسمت أنها يجب أن تكون ! (يبدو على نات أن إرادته تتحطم من جديد وأنه يستسلم لإرادة أبيه القوية . يتقدم خطوة نحو أبيه .. وتبرق عيناه . تنظر سو إلى وجهه ثم تندفع إلى والدها) .

سو : (تضع يدها فوق رأس أبيها لتجبره على النظر إلى وجهها ـ تقول فى شدة) أبى ! كف عن هذا ، هل تسمعنى ؟ إن هذا كله جنون ! إنك تدفع نات إلى الجنون ، أيضاً ! (وعندما ترى والدها يتردد ، وأن ذلك الضوء الوحشى يتضاءل فى عينيه ، تستجمع كل قوتها وتقول فى توسل شديد) من أجلى ، يا أبى ! من أجل أمى ! تذكر

كيف كانت تشعر لو كانت على قيد الحياة ورأتك تتصرف بهذه الطريقة مع نات ! اخبره ! اخبره الآن ـ أمامى ـ بأن كل هذا كذب فى كذب !

بارتليت : (يحاول فى صراع أليم أن يسيطر على عقله ـ يقول فى كلمات متقطعة) نعم ، أنا أسمعك ياسو ـ أعترف ـ نعم ياسارة ، إنها كلماتك على فراش الموت : أبعد نات عن هـذا ـ ولـكن ـ أحمر وأخضر ـ لقد رأيت ذلك واضحا ـ (ثم فجأة وبعـد صراع عنيف ، يرفع وجهه المعذب إلى نات ـ يقول فى لهجة يائسة) لا شىء هناك يابنى ! ألا تصدق ؟ لا أحمر ولا أخضر ! إنها لن تعود أبدا ! لقد تحطمت سارة ألن وفقدت يا بنى (بعد صراع آخر مع نفسه) لقد كذبت عليك ياولدى . لقد أصدرت أمراً ـ فى ذهنى ـ لقتلهما . فقتلتهما غيلةً .

سو : (تجفل منه رعباً) أبى ! إنك لاتدرى ماتقول !

بارتليت : إنها الحقيقة يا فتاة . لقد قلت لى : اعترف .

نات : (فى حيرة) ولـكن ـ كان ذلك عين الصواب . كانا يحاولان أن يسرقا ـ

بارتليت : (يغلبه ذهوله السابق لحظةً ـ يقول فى عنف) أجـل . كان الأمر كذلك ! اللصوص الأوغاد ! كانا يحاولان أن ـ (يقطع حديثه ويلقى برأسه إلى الخلف ، وجسمه كله مشدود يرتجف من المجهود

الذى يبذله ليبعد هذه الكذبة الملحة بعيداً عن ذهنه ـ ثم ينظر إلى نات وهو محطم ولكنه متغلب على نفسه ـ يقول برفق) لا ، يانات . إن هذه هى الأكذوبة التى كنت أرددها لنفسى منذ ذلك الوقت . ذلك الطباخ ـ قال إنه نحاس ـ ولكنى كنت أبحث عن عنبر ـ عن ذهب ـ طوال حياتى ـ وعندما وجدنا ذلك الصندوق كان لابد أن أعتقد أنه ذهب ! كنت أحلم به طوال حياتى ! ولكنه قال إنه نحاس وخردة ، وأخبر الصبى ـ وأصدرت الأمر ـ ولكن فى نفسى ـ بقتلهما وتغطيتهما بالرمال .

نات : (شاحب جدا ـ يقول فى يأس) ولكنه كان يكذب ، أليس كذلك ؟ إنه ذهب ـ ذهب حقيقى ! لا شك فى هذا !

بارتليت : (يأخذ فى بطء من جيبه الخلخال المرصع ويناوله لنات . يأخذه نات قريباً من ضوء الفانوس . يجلس بارتليت على مقعد ويغطى وجهه بيديه ـ يقول فى لهجة تدل على ألم مريع) أنت الذى ستخبرنى ياولدى إن كان هذا ذهباً أم لا . لقد احتفظت به طوال هذه المدة ولكنى كنت أخشى أن أعرضه على ـ

نات : (فى لهجة من الاحتقار القاسى) ماذا ؟ إنه نحاس بالطبع ! أرخص أنواع الخرده ـ لايساوى شيئا ! (يلقيه فى وحشية فى أحد أركان الغرفة . يئن بارتليت ويرتعد ويتحول إلى هيكل من الضعف يدعو إلى الرثاء) .

سو : (مشفقة) لا تكن هكذا يانات . (تضع ذراعيها حول كتفى والدها كأنها تحميه) .

نات : (فى صوت مختنق) كم كنت أحمق . (يلقى بنفسه على السرير البحرى الصغير . وقد ثقل كتفاه) .

بارتليت : (ينكشف وجهه الرمادى وقد علته سكينة عجيبة . يربت على يد ابنته) سو ، لا تكونى قاسية فى الحكم علىّ (يأخذ الخريطة) لنضع نهايةً لكل هذا ! (يمزقها فى بطء إلى قطع صغيرة ، يبدو أنه يزداد ضعفاً وهو يفعل ذلك . وفى النهاية وهو يترك قطع الورقة تتسرب من بين أصابعه ، يسترخى جسده كله فجأة . يتنهد وعيناه مغلقتان مستنداً إلى ظهر مقعده ، ورأسه مائل إلى الأمام على صدره فى ضعف) .

سو : (منزعجة) أبى ! (تسقط إلى جانبه على ركبتيها وترنو بنظرها إلى وجهه) أبى ! تحدث إلىّ ! أنا سو ! (ثم تلتفت إلى أخيها وتقول فى انزعاج) نات ! هيا ـ أسرع ! أحضر الطبيب (يجفل نات ويعتدل فى جلسته . تحاول سو بيدين مرتعشتين أن تجس نبض والدها وقلبه ـ ثم تجهش بالبكاء فى هستيرية) أوه .. نات ـ لقد مات ، مات ! .

(تسدل الستار)

انتهت المسرحية